مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

مجلة البيان ، السنة التاسعة ، العدد 87 ، ذو القعدة 1415هـ / أبريل 1995م

كلمة صغيرة
كفى أيها الأفغان

أربعة عشر عاماً من الجهاد الأفغاني كانت حافلة بكل ألوان الانتصارات والبطولات الجهادية ، ومع تساقط الشهداء وتناثر الأشلاء وتتابع المهاجرين .. كانت تكبيرات المجاهدين تقوي العزائم وتشحذ الهمم لمواصلة الطريق مهما كان شاقاً وطويلاً .

وبعد أن سقط الشيوعيون كانت النفوس تتطلع إلى حكومة المجاهدين الإسلامية .. ولكن -مع الأسف الشديد- سقط المتقاتلون في دوامة الصراع الحزبي والقبلي ، وتناثرت الأشلاء ثانية ، ولكن هذه المرة في سبيل .. !

كم هو مؤسف أن تُقطف هذه الثمرة وتصبح ألعوبة تعبث بها القوى النفعية . ولن نحمل المسؤولية القوى الخارجية أو الأصابع الخفية - وإن كنا لا ننكر دورها- ولكن نؤكد أن المسؤولية -كل المسؤولية- إنما هي على قادة الجهاد الأفغاني .. فماذا سوف يجنون وقد دكت كابل وضاقت بقبورها .. ؟ !

الافتتاحية
وأملي لهم ... إن كيدي متين

[1]

إن تاريخ الحكومات الثورية ثم الديمقراطية ! مع الصحوة الإسلامية المعاصرة تاريخ قديم حافل بكل ألوان الصراع والملاحقة والكبت وإحصاء الزفرات .. ولكن العجيب أنّ الأيام والمحن لا تزيد الصحوة الإسلامية إلا ثباتاً ورسوخاً وتجذراً ، وفي كل يوم تمتد تلك الأغصان الكريمة وتتنامى بصورة مدهشة جداً ..

لقد جن جنون الساسة والعلمانيين وفقدوا القدرة على التركيز والتفكير ، وظنوا أن الحل الوحيد الذي يُخرجهم من هذا المأزق هو العصا الغليظة التي تلهب الظهور وتدمي الجباه .. !

ظنوا أن الخيار الأمثل هو بناء السجون والمعتقلات في الصحاري اللاهبة التي تنتهك فيها آدمية الإنسان ، ويُمارس فيها شتى ألوان القهر والجبروت .. !

ومع ذلك كله لم يتوقف المد المبارك ؛ فالشارع الإسلامي على الرغم من سياسة التجهيل وإعلام المرتزقة وسماسرة الصحافة يزداد التفافاً حول علمائه ودعاته المخلصين .

ولكن .. ماذا بعد ؟ ! وإلى متى تستمر الأنظمة (الديمقراطية !) في عدائها الصارخ المتطرف للصحوة الإسلامية ورجالاتها ؟ ! إلى متى يستمر الجري اللاهث إلى هذا النفق المظلم .. ؟ !

مع الأسف الشديد لم تستفد هذه الأنظمة من خبراتها السابقة ، بل استمرت لغة السجون والعصي هي الأسلوب الوحيد الذي تجيده بكل إتقان وجدارة ، فهل انحلت المشكلة ووصلوا إلى مطلوبهم .. ؟ !

لقد ولّد العنف الرسمي عنفاً مضاداً ، وأثمر التطرف تطرفاً مقابلاً ، وأصبحت القضية تدور في حلقة مفرغة تماماً ، فالأدوات البوليسية التي تستخدمها السلطة

أصبحت وقوداً مستمراً للعنف والعنف المضاد ! ! كم هو مؤسف أن تبقى تلك العقول الصغيرة المتخثرة تجتر السياسة نفسها .. ؟ !

حقاً إنه الإفلاس المفرط الذي أدخلها في دوّامة العنف والقمع والتغطرس . !

 أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا [الفرقان : 44] .

لقد نجحت الأنظمة الثورية في وأد بعض الأحزاب العروبية المتهرئة ، لأنها وجدت رموزاً نخرة يمكن أن تباع وتشترى بثمن بخس دراهم معدودة ، ولكنها فشلت فشلاً ذريعاً في ترويض تلك الجياد الأصيلة التي اشترت ما عند الله والدار الآخرة .

إن ثمة حقيقة كبرى يغفل عنها أولئك الملأ الذين غرّتهم عساكرهم ، وهي أن حرب الصحوة الإسلامية ليست حرباً لأشخاص بأعيانهم تنتهي قضيتهم بتصفيتهم أو خنق أصواتهم ، ولكنها حربٌ مع السنة الكونية ، فالله (سبحانه وتعالى) أنزل هذا الدين لكي يبقى إلى قيام الساعة ، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمَ نوره ولو كره الكافرون [الصف : 8] . كما أنها حرب مع الله (تعالى) ؛ فقد جاء في الحديث القدسي : » من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب « [1] .

ومن ثم : فإن أي محاولة لاستئصال الصحوة الإسلامية وتجفيف منابعها تعد محاولة خاسرة يائسة ، مآلها بحول الله (تعالى) إلى التآكل والموت ؛ قال الله (تعالى): إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون [الأنفال : 36] .

إن العقيدة الإسلامية لا يمكن أن تحارب بقوة السلاح وطغيان السلطة ، وإن استطاع السلاح في يومٍ من الأيام أن يؤذي رجال هذه العقيدة أو يعطل مسيرتهم لبعض الوقت ، فإنها تبقى راسخة حية تعمر قلوب المؤمنين ، ولابد أن يظهر نورها، فكيف يعرف الخوف أو الإحباط طريقاً إلى صدور المؤمنين وهم يقرؤون الأنفال والتوبة وآل عمران .. ؟ ! !

[2]

قال الله (تعالى) : وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين * واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين * وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون * وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين [القصص : 38-42] .

إنها قصة موسى (عليه أفضل الصلاة والسلام) مع فرعون بني إسرائيل ، ولكنها قصة حية تتجدد بتجدد الفراعنة والطواغيت ، فهم كثيرون تجمعهم عقلية الاستعلاء والاستكبار والاغترار بالجند ؛ قال الله (تعالى) : أمَّن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور [الملك : 20] ... شعارهم واحد لا يختلف : (ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) ! .

ولكن سنة الله (تعالى) تتجدد مع تجدد الفراعنة ، فإن الله يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ؛ قال الله (تعالى) : والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون * وأملي لهم إن كيدي متين [الأعراف : 182-183] .

وبعد هذا الصراع كله : فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون ؟ ! !

أهم أولئك الجبابرة الذين ملكوا العبيد ! وفتحوا السجون ، يأمرون وينهون بلا رقيب ولا حسيب ؟ ! أم هم أولئك المخبتون الصادقون ؟ !

قال الله (تعالى) : الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم

مهتدون [الأنعام : 81 ، 82] .
الأمن الذي يعمر قلوب الدعاة .. حتى وهم مسلسلون في ظلمات السجون .. !
الأمن الذي ملأ نفوسهم .. حتى وهم يجلدون وتسيل الدماء على وجوههم .. !
الأمن الذي سكنت به جوارحهم .. حتى وهم معلقون على أعواد المشانق .. !
فصبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة .

---

(1) البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ح/6512 .

دراسات شرعية

مفاهيم ودروس من صلح الحديبية

د . محمد بن عبد الله الشباني

مدخل :

تمثل السيرة النبوية والسنة القولية والفعلية للرسول -صلى الله عليه وسلم- مصدراً مهماً لفهم التشريع الإسلامي على مستوى العلاقات الاجتماعية والسياسية ، وبخاصة عند تحديد كيفية التعامل مع الأعداء .

وفي هذا العصر الذي بلغت فيه الهزيمة النفسية مدًى واسعاً يستدل بعض من يدافع عن واقع الهزيمة التي تجذرت في نفوس بعض من يتولى توجيه الأمة سياسياً وفكرياً بـ (صلح الحديبية) دليلاً شرعياً يُسَوّغُ به تسليم أرض المسلمين في فلسطين إلى اليهود والتمكين لهم فيها ، وبذل مال المسلمين لتقويتهم .

إن غزوة الحديبية وما تم فيها من صلح بين رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبين أعدائه من مشركي العرب تحتاج إلى وقفة متأنية ودراسة منهجية حتى لا يُعمَد بحسن نية أو بسوء نية إلى تزيين التخاذل والاستخذاء والاستسلام لأعداء الأمة .

إن تلك الغزوة وما حصل فيها من مواقف متعددة في التعامل مع المشركين لَدروسٌ ينبغي فهمها واستيعابها من قبل أفراد الأمة ، لما في ذلك من أهمية في مكافحة الغزو الثقافي وما يتبعه من هزيمة نفسية هي أشد ألماً وتأثيراً في كينونة الأمة من الاحتلال العسكري ولما لذلك من تأثير على استمرار قدرتها على المجابهة إلى أن يأذن الله لها بالفرج ، وتتوفر لها أسباب عدم الاندثار والزوال والذوبان في الأمم والثقافات الأخرى .

ويرتبط فهم المواقف التي حدثت في غزوة الحديبية ومعرفة مدلولاتها بفهم الظروف التي صاحبت هذه الغزوة التي قاد فيها الرسول -صلى الله عليه وسلم- طلائع الجيوش المسلمة ، آملاً أن يكون فيما سأتطرق إليه من مفاهيم ودروس لهذه الغزوة ما يوضح الحقيقة التي يراد نسيانها أو تناسيها .

أحوال ما قبل الصلح :

*مكانة (مكة) في قلوب المسلمين :

إن مكانة مكة في قلوب العرب تمثل بقايا قيم وتعاليم نبي الله إبراهيم (عليه السلام) ، ولهذا : فقد كان العرب يفدون إلى مكة لأداء النسك في شهر ذي الحجة ، وقد حرّموا بينهم شهور ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ، فلم يبيحوا القتال في تلك الأشهر ، لكي تتمكن القبائل العربية من الوفود إلى مكة لأداء مناسك الحج ، ولذا : فقد كانت مكة محط أنظاره -صلى الله عليه وسلم- هو وصحابته الكرام الذين تهوي دائماً أفئدتهم إليها .

*تضعضع مكانة قريش :

وإن من أهم الظروف التي سبقت صلح الحديبية والتي تساهم في فهم معطيات وأسس الصلح الذي تم بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقريش : تضعضع مكانة قريش العسكرية بعد غزوة الخندق ، التي انتصر فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، مما أدى إلى تفكك التجمع المناهض للدولة الإسلامية ، وقيامه -صلى الله عليه وسلم- بالقضاء على اليهود الذين كان لهم دور فاعل ومؤثر في تأليب العرب المشركين على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وكان لهذا الواقع أثره في بروز القوة الإسلامية في المدينة وظهورها قوةً جديدة قادرة على مجابهة جميع القوى في الجزيرة العربية آنذاك .

***فرض واقع جديد :**

ويتضح من الأسلوب الذي اتبعه الرسول -صلى الله عليه وسلم- في خروجه إلى مكة معتمراً رغبته -صلى الله عليه وسلم- في الحصول على الاعتراف من قريش بالمجتمع الجديد الذي قام في المدينة ، وأن له الحق كبقية القبائل العربية في زيارة مكة ، مما يساعد القوة الإسلامية الجديدة على الامتداد والانتشار في الجزيرة العربية ، وبالتالي : إضعاف مركز قريش ، وقد أعلن -صلى الله عليه وسلم- للناس أنه لا يريد الحرب ولا يسعى إليها [1] ، بل خرج مُحرِماً سائقاً للهدي معظماً لشعائر الله ، فلم يأخذ معه سلاحاً إلا السيوف مغمدة .

فلم يخرج -صلى الله عليه وسلم- من أجل الجهاد وتأديب أعداء الله ، وإنما خرج لأداء شعيرة من شعائر الله ، ولكن هذه الخطوة وضعت قريشاً أمام خيارين أحلاهما مر ؛ فإما أن يمنعوه ص ؛ فتهتز مكانتهم الأدبية والاجتماعية بين العرب لكونهم يصدون عن بيت الله الحرام ، وإما أن يقبلوا دخوله -صلى الله عليه وسلم-، فتهتز مكانتهم السياسية وهيبتهم العسكرية بين العرب ؛ لأنه سيقال : إن قريشاً سمحت للمسلمين بدخول مكة لعدم قدرتها على مواجهتهم ومنعهم .

بين صلح الحديبية ومعاهدات السلام ! :

يمثل صلح الحديبية الأساس الشرعي لكيفية التعامل مع الأعداء ، وكيف يتم التهادن معهم ، والقواعد التي ينبغي مراعاتها ؛ أخذاً بالظروف العسكرية التي تم على ضوئها الصلح ، وفهماً لما احتوت عليه نصوص الصلح من قواعد يجب فهمها على ضوء قوة المسلمين ، وليس على ضوء الضعف والاستخذاء واللجوء إلى العدو للحماية وطلب النصرة .

إن المعطيات والأحداث المصاحبة والسابقة واللاحقة لصلح الحديبية توضح القواعد التي تحكم سلوك المسلمين مع الأعداء ، وتحدد الإطار الذي يمكن على ضوئه أن يتم التعامل معهم سلماً أو حرباً ، لهذا : فلابد من استعراض أهم الأحداث والمواقف التي سبقت التوصل إلى عقد الهدنة وليس الصلح ، فهناك فرق كبير بين الهدنة التي تمت مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- والصلح كما هو حادث الآن مع اليهود المغتصبين لأرض المسلمين ؛ فالصلح الذي تم مع بعض قادة الدول العربية إنما هو استسلام كامل وإقرار للمغتصب باغتصابه ، بل ومكافأة للعدو بفتح البلاد العربية والإسلامية ليغزوها وينهب خيراتها من خلال : التمكين له اقتصادياً ، والتطبيع السياسي الكامل معه ، مع العمل على مسخ العقل المسلم وسلبه مقومات وجوده الثقافي والفكري فيما يعرف بـ « التطبيع الثقافي » ، هذا الصلح الذي يتم ويطلق عليه اسم (عملية السلام) ، وترتفع عقيرة الداعين و (المطبلين) له بزعم أن ما يتم الآن من صلح إنما هو تطبيق لما فعله الرسول -صلى الله عليه وسلم- واتباع لمنهجه ! ، بل إن من المضحكات المبكيات أن يستشهد حاملو لوائه بقوله (تعالى) : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾ بعد نزعها من سياقها في الآية وفقاً لقاعدة : (لا تقربوا الصلاة ..) .

كيف نفهم صلح الحديبية ؟ :

إن الأحداث السابقة لتوقيع الصلح مع قريش التي توضح الظروف المساعدة لحصول الصلح تمثلت في الأمور التالية :

أولاً : حينما علمت قريش بمقدم الرسول -صلى الله عليه وسلم- أثار ذلك حميتها ؛ فجمعت قواها من أجل محاربته -صلى الله عليه وسلم- ؛ فاستعانت بحلفائها من الأحابيش وثقيف ، فتدافعوا خارج مكة لملاقاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي مقدمتهم الفرسان بقيادة « خالد بن الوليد » بمئتي فرس ، وقد عمد « خالد » بأن وقف أمام المسلمين في قبلتهم لغرض الانقضاض عليهم عند قيامهم بأداء الصلاة ، ولهذا : فقد أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قائد فرسانه « عباد بن بشر » (رضي الله عنه) فتقدم ووقف إزاء « خالد » وَصفّ أصحابه خلف المسلمين لابسين الإحرامَ ، وبعد أن حان وقت صلاة الظهر أذن « بلال » (رضي الله عنه) وأقام الصلاة ، فصلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بهم ، ولهذا : فقد وضع المشركون خطتهم في الصلاة الثانية على أن يهجموا على المسلمين أثناء صلاتهم للعصر ، ولكن الله أمر نبيه وشرع له صلاة الخوف ، فأفسد ذلك على قريش خطتها [2] ، إذ كان من أهم الدروس التي حصلت من تشريع صلاة الخوف توجيه الانتباه إلى (العنصر العقدي في الصراع مع العدو) الذي يراد إبعاده بالصلح مع العدو في عصرنا الحاضر ، فإبراز شعيرة الصلاة خلال المواجهة مع العدو والإصرار على أدائها إنما هو توجيه للأمة بعد رسولها بعدم التهاون في أي مبدأ ، حتى في أحلك الظروف المواجهة العسكرية فما بالنا في عقد هدنة أو معاهدة ؟ ! ؛ ، فأي صلح أو معاهدة تبرم مع الأعداء تتضمن في أبعادها وشروطها تنازلاً ولو ضمناً عن القيم والمبادئ الإسلامية ، تعتبر هذه المعاهدة أو الصلح اتجاهاً فاسداً ، مثل شرط ضرورة (التطبيع الثقافي) الذي يصر اليهود والنصارى على مطالبة المسلمين بتنفيذه ؛ وذلك من خلال محاربة (مفهوم الولاء والبراء) بطمس الشخصية الإسلامية ، وفصل الدين عن الدولة ، ومحاربة أي توجه لتثبيت ركائز التميز الإسلامي .

ثانياً : استشارة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من معه من المسلمين : ماذا يفعل بعد أن خرجت قريش لمنعه من أداء شعيرة العمرة ؟ ، فأشار عليه الصديق (رضي الله عنه) قائلاً : « يا رسول الله ، خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه » ، لقد أخذ الرسول -صلى الله عليه وسلم- بهذا الرأي فقال : « امضوا على أمر الله » [3] ، فساروا ، وتجنب -صلى الله عليه وسلم- المواجهة مع قريش كما تحكي تفاصيل ذلك كتب السيرة لا لضعف وعجز حيث لم يخرج من المدينة بقصد فتح مكة وانتزاع الزعامة من قريش بل ليظهر للناس أن ما يدعو إليه إنما هو امتداد للدين الذي كان عليه العرب منذ « إسماعيل » (عليه السلام) ، والذي من أهم شعائره تعظيم مكة حيث بيت الله الحرام ، وهذا الأسلوب الذي عمد إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سيدفع كثيراً من العرب إلى إعادة النظر في العداء تجاه هذا الدين ؛ لهذا : ندرك سر قَسَم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأنه سيقبل بأي صلح يضمن حقن الدماء وتحقيق تعظيم الحرمات [4] ؛ ولهذا : لا يجوز الصلح مع الأعداء إذا لم يكن فيه تطلع إلى وضع أفضل للدعوة أو الأمة .

ثالثاً : أسلوب المفاوضات الذي اتبعه الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع قريش ، وكيفية التعامل مع العدو لتحقيق ما يصبو إليه المفاوض المسلم : فمن الأمور التي أبان عنها أسلوب المفاوضات الذي اتبعه الرسول -صلى الله عليه وسلم- الذي ينبغي اتباعه : تحديد الغاية والهدف من الصلح على أن يرتبط الهدف

بخدمة المنهج الاعتقادي لدولة الإسلام والمسلمين ؛ فلو نظرنا إلى غاية الصلح الذي عقده الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع قريش نجد أنه قد حقق غاية وهدف الصلح ، وهو : اعتراف قريش لرسول الله بحق المسلمين في تعظيم البيت وزيارته، وقبول قريش لأن يعظم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- البيت ، وذلك اعتراف بالدعوة التي ينادي بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالعودة إلى أصل دين « إبراهيم » و « إسماعيل » (عليهما السلام) ، وإزالة ما علق به من شرك وعبادة للأوثان ، ولكن خوف قريش على مكانتها الدينية جعلها تتعصب ضد السماح للرسول -صلى الله عليه وسلم- بدخول مكة لأنها في حرب معه ، وسبب هذه الحرب معروف لدى العرب ؛ فالسماح له يعني بالضرورة الاعتراف بقوة الدين الجديد ؛ لهذا : حاولت قريش إيجاد المخرج فيما أوقعها فيه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فأخذت تبعث الرسل من حلفائها ، فبعثت « الحليس بن علقمة » سيد الأحابيش ، وقد كانت هذه القبيلة في حلف مع قريش ، وهم معروفون بشدة تعظيمهم للبيت ، ولهذا : فقد عمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حينما علم بقدومه إلى ممارسة سياسة إضعاف ارتباطه بقريش ، وذلك بهز مشاعر التأله لديه ؛ فقد قال -صلى الله عليه وسلم- حينما رآه : « إن هذا من قوم يتألهون وفي لفظ : يعظمون الهدي ، ابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه » [5]، فلما رأى « الحليس » الهدي يسيل عليه بقلائده من عرض الوادي ، قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، واستقبله الناس يلبون قد شعثوا ، صاح وقال : « سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت ، وأن يحج لخم وجذام ونهد وحَمْير ويمنع « ابن عبد المطلب » !! هلكت قريش ورب الكعبة ، إنما القوم أتوا عُمّاراً » [6]، وبمجرد أن رأى هذا المشهد رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إعظاماً لما رأى ، ورجع إلى قريش يدعوها إلى السماح للمسلمين بالاعتمار ومهدداً لها بالخروج من الحلف معها .

لقد كان لهذا الموقف تأثير في زعزعة التحالف بين قريش والأحابيش ، وإن ما قام به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تجاه « الحليس » يمثل منهجاً لقادة الأمة عند عقد الصلح والهدنة مع الأعداء بالاستفادة من التناقضات الاجتماعية والثقافية في معسكر الأعداء لتحقيق الغاية من الهدنة .

ثم عمدت قريش إلى بعث عدة رجال ، منهم : « عروة بن مسعود الثقفي » زعيم ثقيف و « سهيل بن عمرو » الذي تم على يديه الصلح ، ومن جانب الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقد بعث عدداً من الرسل ، ومن أهمهم : « عثمان بن عفان » (رضي الله عنه) الذي اختاره -صلى الله عليه وسلم- لمكانته في قريش ، وبعث معه كتاباً إلى أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأتِ لحرب وإنما جاء معتمراً ، وقد بقي « عثمان » في مكة وشاع لدى المسلمين بأنه قُتل ، ولهذا : اتخذ الرسول القائد قراره بالقتال ، وحتى يضمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- تماسك الصف المسلم ، وحتى لا يدخل حرباً مع قريش إلا بعد أن يضمن قبول صحابته بدخول الحرب ، طلب صالبيعة من المسلمين على الموت .

رابعاً : محاولة قريش التحرش بالمسلمين بهدف إثارة الحرب ، وذلك من خلال إرسال مجموعات من الرجال لمهاجمة المسلمين ، وكان موقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- التأني والمصابرة ؛ لتحقيق الهدف الذي جاء من أجله ، وإفشال هدف قريش من دعواهم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- إنما جاء محارباً ؛ وقد وضع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مجموعة من أتباعه بقيادة « محمد بن مسلمة » (رضي الله عنه) لحراسة المسلمين ، وكان من يقظته أن تمكن من إفساد خطة قريش ؛ حيث تمكن (رضي الله عنه) من القبض على من أرسلتهم

قريش إلا « مِكْرَز » الذي أفلت ، وقد حبسهم رسول الله صحيثُ ثارت ثائرة قريش، فجاء جمع منهم ورشقوا المسلمين بالنبل والحجارة ، وقد كانت غاية قريش من هذه المحاولات سبر قوة المسلمين وتحديد مدى استعدادهم .

ولهذا : فإن من أهم الأمور التي ينبغي الانتباه إليها عند الرغبة في تحقيق هدنة أو صلح لخدمة الأهداف الاستراتيجية للأمة : إشعار الخصم بالقوة والاستعداد والحيطة بقصد إضعاف الجانب النفسي لدى العدو ، فشعور العدو بالتفوق والقدرة على تملك زمام الأمور يجعل الصلح يخدم مصلحته .

وكذلك فإن الهدف الذي يمكن فهمه من أخذ الرسول -صلى الله عليه وسلم- البيعة من أصحابه على الموت وليس على مجرد القتال هو : إدخال الوهن في قلوب قريش ، حيث أوضح ذلك لهم أن الرسول صلن يرجع إلا وقد ناجزهم وأن أتباعه الذين بايعوه بيعة الموت لن يتراجعوا ؛ لأنه لا يمكن أن يُهزم قوم استحبوا الموت على الحياة .

إن قرار الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالحرب عندما ظهرت من قريش بوادر خيانة لدرس عملي ينبغي فهم مراميه وغاياته ، فالهدنة أو الصلح مع العدو إذا لم يكن من مركز القوة فإن حقوق الأمة ومقدراتها تصبح هدراً ، ومن هذا : ما فعله الرسول -صلى الله عليه وسلم- بإعلان الحرب على العدو حينما شاع أن « عثمان » (رضي الله عنه) ومن استأذنه من الصحابة في الذهاب إلى مكة قد قتلوا ، فهو لم يتردد في إعلان الحرب ، لكن في زمن الانهزام يقوم العدو بالقتل الجماعي والتشريد والهدم للمنازل بعد توقيع الصلح أو ما يعرف بالسلام ! ! فتمتد الأيدي الذليلة التي بعدت عن منهج الله إلى العدو الذي تقطر أياديه بدماء الرجال والنساء والأطفال ، ويستمر في سرقة الأرض والقيم بدون أن تثور الكرامة في النفوس ، فتجابه العدو بما يستحقه ، ولكن بدلاً من ذلك تتوجه إلى سفك دماء شعبها وبالأخص الوجوه المتوضئة التي تعلن أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنحرفين والخائنين ممن يتكلمون بلغتنا وهم من جلدتنا يمارسون النفاق بدون حياء ! ! .

إن الصلح مع العدو إن لم يقترن بالقوة الحامية له ويخدم مصالح الأمة القريبة والبعيدة فإنه صلح محرم شرعاً ، وليس له إلزام ، ولا يمكن الاستشهاد بأي وجه بصلح الحديبية والادعاء بأن في الاستسلام أسوة برسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فمثل هذا الرأي فيه مساهمة في إذلال الأمة ووضع القيود عليها ، وإضعاف روح المقاومة لديها ، وممارسة التحريف المتعمد لعناصر تكوين شخصيتها المسلمة.

خامساً : لقد كان من نتيجة البيعة أن أرسلت قريش جمعاً من زعمائها بقيادة « سهيل بن عمرو « أتوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعتذرون له ويوضحون حقيقة الأمر ، ويطلبون إرسال من أسرهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، فأصر -صلى الله عليه وسلم- على فك أصحابه أولاً ، فبعثوا بمن كان عندهم ، فأطلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سراح من أسرهم .

في هذه الواقعة إشارة وتأكيد إلى الحزم والقدرة على تحديد مسار الصلح ليكون لصالحه ، وليس كما فعله الذين يصالحون اليهود مع بقاء الآلاف من المعتقلين في سجون العدو ، واستمرار المداهمات والقتل ونسف بيوت المرتهنين في فلسطين ؛ فتُهدم عليهم وتصادر أملاكهم ، ومع ذلك يتم التوقيع على الصلح الذي تصرح كل كلمة فيه بأن ما يجري ليس صلحاً ولكن استسلاماً وخيانة وتفريطاً في حق الأمة .

سادساً : لقد كانت أجواء محادثات الصلح وما تم فيها من مناقشات وردود الأفعال في معسكر المسلمين على ما تم التوصل إليه ، توضح أمرين :

الأول : أن الصلح يخدم الاستراتيجية الخاصة بتحقيق الأهداف التي ترغب الأمة في تحقيقها ، وأن شروط الصلح غير متضاربة مع الأهداف والغايات العليا للسياسة العامة للدولة المسلمة ، بحيث يستخدم الصلح للتمكين للأمة .
الثاني : أن التنازلات التي تُمنح لا تتعارض ولا تتناقض مع مصلحة الأمة على أن تكون هذه التنازلات شكلية أكثر منها فعلية وإن ظهرت في بادئ الأمر أن فيها تنازلات كما سنوضحه عند الحديث عن محتويات الصلح .
وإن من المبكيات أن اليهود في هذا العصر عندما وقعوا « الصلح » ! ! مع العرب فيما عرف بـ « كامب ديفيد » ، أو ما عرف بـ » الحكم الذاتي » ، أو « الصلح مع الأردن » ، قد انتهجوا في استراتيجيتهم في وثائق الصلح ما استخدمه الرسول -صلى الله عليه وسلم- مع قريش ، حيث حققوا مكاسب أمنية استراتيجية مع عدم تقديم تنازلات تؤثّر على أمنهم أو هويتهم .
إن قراءة مكونات الصلح مع أي طرف من الأطراف العربية لتبدي مدى بُعْد النظر والدهاء اليهودي الذي قابله استهتار واستخذاء من قِبَل الطرف العربي .
ومما يلاحظ : أن من أهم الأمور التي ركزت عليها قريش : إبقاء نوع من الهيبة الزائفة لواقعها ؛ فقد طلبت أن لا يدخل المسلمون مكة هذا العام على أن يعود المسلمون العام القادم لأداء العمرة ، وهذا ما فعله اليهود مع العرب بإعطائهم مكاسب شكلية ، مثل : انسحاب عن أراضٍ مجردة من السلاح وتقع تحت مراقبة قُوى تحت السيطرة والنفوذ اليهودي ، أو سلطة شكلية يتحكم فيها اليهود ، أو استئجار لأرض وبقاء اليهود مستغلين لها .
وللحديث بقية ...

---

(1) انظر : البخاري : كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، ح/ 2731 ، 2732 .
(2) انظر : فتح الباري : ج7 ، ص488 .
(3) أخرجه البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ، ح/4178 ، 4179 .
(4) انظر : البخاري : ح/4178 ، 4179 ، وفتح الباري : ج5 ، ص396 .
(5) فتح الباري : ج5 ، ص403 ، وانظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، للدكتور مهدي رزق الله أحمد ، ص488 ، و السيرة النبوية الصحيحة ، للدكتور أكرم ضياء العمري ، ج2 ، ص441 .
(6) السابق .

دراسات حديثية

اجتماع الجرح والتعديل في راوٍ واحد

محمد بن عبد الله الأحمد

من المحاسن الواضحة لهذه الصحوة المباركة ، ومن سماتها الظاهرة : حرصها على صفاء المورد وسلامة الطريق ، مما أثمر اهتماماً بالسنة النبوية تحقيقاً ونشراً ، ودراسة وفقهاً ، وقبل ذلك وبعده ، التزاماً ودعوة ومشاركة في هذه المسيرة الراشدة . وهذه الأسطر تعرض موضوعاً مهماً للمشتغلين بدراسة الأسانيد ، وهو : العمل عند اجتماع الجرح والتعديل في الراوي الواحد ، وهو موضوع أغفله عدد من الباحثين - خصوصاً المعتمدين على كتاب « تقريب التقريب » .
وأتمنى أن يكون في هذه الأسطر بيان لأهمية هذا المبحث في الحكم على الرجال وتصحيح الأحاديث وتضعيفها ، فهو مع علم العلل أساس الحكم على الأحاديث .
وفي ثنايا هذه الأسطر تذكير بمنهج أسلافنا في التعامل مع أهل العلم وآرائهم، وإنزالهم المنازل التي يستحقونها ، دون إفراط أو تفريط ، فلا عصمة لعالم ، وليس أخو علم كمن هو جاهل ، عسى أن نعي منهجهم فنسير على دربهم .

وقد سلك العلماء في هذا الموضوع ثلاثة طرق :

1- الجمع بين الأقوال ما أمكن :

وذلك بتنزيل كل قول على أمر خاص ، وأوجه الجمع كثيرة يصعب حصرها، منها ما يتعلق بأحوال الراوي في شبابه وكهولته ، سفره وإقامته ، ضبط صدره وضبط كتابه ، بالنسبة لشيوخه وتلاميذه ... وهكذا ، وقد ذكر الإمام الحافظ ابن رجب في آخر شرحه « لعلل الترمذي » فصولاً نافعة في هذا الباب .

2- الترجيح :

وهو اعتماد أحد الأقوال جرحاً أو تعديلاً وطرح ما عداه ، واعتماد أحد الأقوال لا يكون جزافاً أو هوى ، بل بناءً على أسس وقواعد ، منها :

(أ) التثبت من النقل عن الناقد ، والتأكد من عبارته :

قال الحافظ ابن حجر : ونقل ابن الجوزي من طريق الكديمي عن ابن المديني عن القطان أنه قال : لا أروي عنه يعني أبان العطار ، وهذا مردود ؛ لأن الكديمي ضعيف .

وقال في ترجمة بشر بن شعيب الحمصي : قال ابن حبان : كان متقناً ثم غفل غفلة شديدة ؛ فذكره في الضعفاء ، وروى عن البخاري أنه قال : تركناه .

وهذا خطأ من ابن حبان نشأ عن حذف ؛ وذلك أن البخاري إنما قال في تاريخه : تركناه حياً سنة اثنتي عشرة ، فسقط من نسخة ابن حبان لفظ حياً ، فتغير المعنى .

(ب) النظر في حال الناقد :

من وجوه : تشدداً وتساهلاً ، مرتبته في هذا العلم ، ومعرفته به ، معاصرته للمتكلم فيه زماناً أو مكاناً ، مصادره في هذا النقد ، مذهبه الاعتقادي ، اصطلاحاته النقدية .. إلخ .

ومن الأمثلة : قول الحافظ في ترجمة أحمد بن شبيب الحبطي : ولا عبرة بقول الأزدي لأنه ضعيف ، فكيف يعتمد في تضعيف الثقات ؟ ! .

وقال في ترجمة خثيم بن عراك : وغفل أبو محمد بن حزم فاتبع الأزدي وأفرط ، فقال : لا تجوز الرواية عنه ، ومادرى أن الأزدي ضعيف فكيف يقبل منه تضعيف الثقات ؟ ! .

وقال في ترجمة محارب بن دثار : وقال ابن سعد لا يحتجون به ، قلت : ... ولكن ابن سعد يقلد الواقدي ، والواقدي على طريقة أهل المدينة في الانحراف على أهل العراق .

ومما يتعلق باصطلاح الناقد : ما قاله الحافظ في ترجمة يزيد بن عبد الله الكندي ، قال : عن أحمد أنه قال : منكر الحديث ، قلت : هذه اللفظة يطلقها أحمد على من يغرب على أقرانه ؛ عرف ذلك بالاستقراء من حاله . أ . هـ .

ومن ذلك اصطلاح البخاري في عبارة : منكر الحديث وفي إسناده نظر .

ومما يتعلق بمعرفة المتكلم بالراوي ما نقله الحافظ في تهذيبه عن أبي أحمد الحاكم أنه قال : وربما يقع له الغلط يعني البخاري لا سيما في الشاميين ، ونقله مسلم من كتابه فتابعه على خطئه . [ترجمة أبي عمران الأنصاري] .

(ج) معرفة سبب الكلام جرحاً أو تعديلاً :

وهذا عنصر مهم في الترجيح ؛ فقد ردت أقوال أئمة كبار لما عرف سبب كلامهم ، فقد يكون السبب اختلاف المذهب بين الناقد والمتكلّم فيه وهذا باب واسع ينبغي تأمله ، أو ما يكون بين الأقران من المنافسة التي تؤدي إلى نوع من الميل على الآخر ، أو وقوفه على نص أو فعل للمتكلم فيه ولم يفهمه الناقد على وجهه

الصحيح ، أو يكون كلامه نتيجة ظن مرجوح ... إلى أسباب كثيرة .

وهاك جملة من الأمثلة وهي من مقدمة الفتح أيضاً :

حميد بن هلال العدوي ، قال يحيى القطان : كان ابن سيرين لايرضاه . قال الحافظ : بيّن أبو حاتم الرازي أن ذلك بسبب دخوله في شيء من عمل السلطان وقد احتج به الجماعة .

وهذا إسماعيل بن إبراهيم القطيعي ، وثقة ابن معين وأخرج له الشيخان ، قال الحافظ : وغمزه أحمد لأنه أجاب في المحنة .

وهذا إمام الصنعة شعبة بن الحجاج يترك المنهال بن عمرو الأسدي ، ومع ذلك يوثقه عدد من الأئمة ويخرج له البخاري ، ذلك لأن شعبة لما سُئل عن سبب تركه له قال : أتيت منزل المنهال فسمعت منه صوت طنبور فرجعت ولم أسأله ، قال وهب بن جرير : فهلا سألته عسى كان لا يعلم .

وهذا الإمام مالك بن أنس وهو أشهر من عرف بانتقائه للرجال ، فإذا حدث عن رجل فهو ثقة لم يقبل أهل العلم توثيقه لعبد الكريم ابن أبي المخارق . قال ابن عبد البر : لا يختلفون في ضعفه ، غرّ مالك سَمته ولم يكن من أهل بلده .

وقد أعتذر مالك عن روايته عنه ، فقال : غرني بكثرة بكائه في المسجد [الميزان2/646 ، 647] .

أما رد كلام الناقد نتيجة لأنه لم يفهم فعل أو قول الراوي على وجهه الصحيح، فالأمثلة كثيرة ، منها :

الحسن بن مدرك السدوسي ، قال أبو داود : كان كذاباً يأخذ أحاديث فهد بن عوف فيقلبها على يحيى بن حماد .

قال الحافظ : إن كان مستند أبي داود في تكذيبه : هذا الفعل ، فهو لا يوجب كذباً ، لأن يحيى بن حماد وفهد بن عوف جميعاً من أصحاب أبي عوانه ، فإذا سأل الطالب شيخه عن حديث رفيقه ليعرف إن كان من جملة مسموعه ، فحدثه به أولاً ، فكيف يكون بذلك كذاباً ، وهذا الراوي خرّج له البخاري وحدّث عنه أبو زرعة وأبو حاتم ووثقه النسائي .

وهذا زيد بن وهب الجهني ، وثقة الجمهور ، وقال الحافظ : وشذ يعقوب ابن سفيان الفسوي ، فقال : في حديثه خلل كثير ، ثم ساق من روايته قول عمر في حديثه : » يا حذيفة ، بالله أنا من المنافقين ؟ ! « ، قال الفسوي : وهذا محال . قلت [الحافظ] : هذا تعنت زائد ، وما بمثل هذا تُضعف الأثبات ، ولا ترد الأحاديث الصحيحة ، فهذا صدر من عمر عند غلبة الخوف وعدم أمن المكر ، فلا يلتفت إلى هذه الوساوس الفاسدة في تضعيف الثقات .

ومن ذلك : تكذيب هشام بن عروة لمحمد بن إسحاق ، ولما سئل عن السبب قال : حدث عن امرأتي فاطمة بنت المنذر وأدخلت علي وهي بنت تسع ، وما رآها رجل حتى لقيَت الله (تعالى) .

وقد رد هذا التضعيف عدد من الأئمة منهم أحمد بن حنبل ؛ قال : فلعله سمع منها في المسجد أو سمع منها وهو صبي ، أو دخل عليها فحدثته من وراء حجاب ، فأي شيء في هذا ؟ ! [الميزان 3/470 ، 471] .

ولذلك ذهب المحققون من أهل الحديث إلى تقديم الجرح المفسّر عند تعارض الجرح والتعديل في الراوي ، وشرطه : كون التفسير يُعتدّ به ومعتبراً وخفي على المعدّل ، لأن مع الجارح في هذه الحالة زيادة علم ، والله أعلم .

3- التوقف حتى يأتي مرجح :

وقد ذهب إلى هذا المسلك عدد من النقاد ، منهم : الحافظ أبو حفص عمر بن شاهين في الجزء المطبوع من كتابه » ذكر من اختلف العلماء ونقاد الحديث

فيه ... « » ، وهو مطبوع في آخر « تاريخ جرجان » للسهمي .

فهو يتوقف حينما يتكافأ النقاد عدداً أو مكانة ، كما في ترجمة أبي الأشهب جعفر بن الحارث وترجمة حميد بن زياد وزكريا بن منظور ، وقد توقف في خالد بن أبي مالك ، مع أنه ذكر عن أحمد بن حنبل وأحمد ابن صالح توثيقه ، ونقل عن يحيى بن معين تضعيفه .

وقال في الخليل بن مرة : وهذا الخلاف في الخليل بن مرة يوجب الوقف فيه، لأن الخليل بن مرة روى أحاديث صحاحاً وروى أحاديث منكرة ، وهو عندي إلى الثقة أقرب .

وبعد هذا الاستعراض الموجز الذي لم أقصد به الاستقصاء والدراسة العلمية أرجو أن يكون قد تحقق ما قصدته من التذكير بهذا الموضوع وإثارة الاهتمام به ، حتى يحظى من الإخوة الباحثين بمزيد عناية نظرية ، وممارسة عملية ، ليستفيدوا من هذا المنهج في نقد وتقويم واقعهم الدعوي ورموزه ... والحمد لله رب العالمين .

دراسات دعوية

رصيد الداعية

خالد أبو الفتوح

يعتقد بعض الشباب المتحمسين أنه يكفي لإقناع الآخرين بصحة دعوتهم أن تكون الحجة جليّة واضحة وأن يكون البيان فصيحاً بليغاً ، ولكنهم مع حرصهم على إتقان ذلك قد يُفاجؤون بعدم استجابة مدعويهم ، فيلقون التبعة من على أكتافهم ظانين أنهم أدوا ما عليهم ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ ﴾ و ﴿ ليس عليك هداهم ، ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ ، ثم يحمّلون من كانوا محلاً لدعوتهم المسؤولية كاملة لعدم استجابتهم للهدى ؛ ﴿ بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم ، فمن يهدي من أضل الله ؟ ﴾ ، أو يسندون سبب إخفاقهم إلى محض المشيئة الإلهية ﴿ ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴾ ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً ﴾ .

ولا شك أنه لا يخرج شيء عن المشيئة الإلهية ، وأن الذين لم يستجيبوا لوضوح الحجة وبلاغة البيان ليسوا بمنجى عن المحاسبة والسؤال ، ولكن لا شك أيضاً أن هؤلاء المتحمسين الطيبين لم يلتفتوا إلى غاية الدعوة التي لا تقتصر فقط على إقامة الحجة لاستحقاق الجزاء ، بل تهدف بالمقام الأول إلى إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، وإنقاذهم من غضب الله (تعالى) وناره إلى رضاه وجنته ؛ قال -صلى الله عليه وسلم- : إن مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً، فلما أضاء ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل ينزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وهم يقتحمون فيها [1] ، وهذا المعنى هو ما وصف به الله (سبحانه) رسوله -صلى الله عليه وسلم- ؛ حيث يقول (عز وجل) : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [التوبة : 128] .

وغالباً ما يكون دافع هؤلاء المتحمسين هو الإخلاص ومحبة رؤية الخير منتشراً بين الناس ، ولكن .. هل يكفي هذا الدافع للتنصل من المشاركة في مسؤولية الإخفاق ؟

إن المدقق في عناصر (عملية الدعوة) يخرج ولابد بأن قيام أمر الدعوة لا يقتصر على إيضاح حجة وبلاغة بيان ، فهما بالرغم من أهميتهما يشتركان جنباً إلى جنب مع عناصر أخرى عديدة لإنجاح حجية البلاغ من قِبَل الداعي .

ومن هذه العناصر ما يمكن أن نطلق عليه : (رصيد الداعي) لدى المدعو ، ونعني بذلك : رصيده من الثقة في أمانته وعلمه والطمأنينة إليه ، ليكون هذا الرصيد مُوَطّئاً لاستجابة المدعو إذا أراد الله له الهداية ، أو أبلغ في استحقاق النقمة إذا انتكس وأبى إلا الغواية .

وهناك إشارات عديدة في الكتاب والسنة إلى هذا العنصر الهام في (عملية الدعوة) ؛ فمن ذلك :

***ما جاء في قصة نبي الله يوسف :**

﴿ ودخل معه السجن فتيان ، قال أحدهما : إني أراني أعصر خمرا ، وقال الآخر : إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين* قال : لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ، ذلكما مما علمني ربي ، إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ [يوسف : 3637] ، فالملاحظ في الآية الأولى : أن الفتيين أقبلا على يوسف (عليه السلام) وهما في حالة تسليم بأمانته وإذعان لعلمه ، ولكن هذا التسليم وذلك الإذعان لم ينشأ من العدم ، بل كانا نتيجة ما رأوه من إحسان يوسف عليهم ؛ ﴿ إنا نراك من المحسنين ﴾ ، وإذا تنبهنا إلى أن هذين الفتيين كانا على ملة الكفر لأدركنا أن الإحسان المقصود عندهم ليس هو الإحسان بالمصطلح الشرعي ، ولكنه إحسان بالمعنى الذي تعارف عليه جميع الناس وهو فعل ما اتفقت العقول السديدة والفطر السليمة أنه حسن ، ويلزم لنا أن نتخيل ما هي حياة السجون حتى نعرف قيمة الإحسان إلى الآخرين فيها ، سواءً أكان إسداء جميل ، أو بذل نصيحة، أو اهتمام عام بأمر الآخرين في مثل هذه المحنة [2] .

وبعبارة أخرى نستطيع القول : إنه للوصول إلى هذه الثقة وهذا التسليم والإذعان ، فقد حدثت (عملية تفاعل اجتماعي إيجابي) بين يوسف (عليه السلام) والمسجونين الآخرين ، وذلك من خلال شبكة اجتماعية مصغرة كونها يوسف (عليه السلام) مستغلاً قنوات الاتصال المتاحة والرابطة الاجتماعية الواقعية رابطة إحساس السجين بالقهر .

وفي الآية الثانية : نلاحظ أن يوسف (عليه السلام) استثمر الموقف استثماراً كاملاً ، وقطف الثمرة في أوانها ؛ فإنه لما رأى إتيانهما إليه واثقين فيه مسلّمين بأمانته مذعنين لعلمه ، أكد عليهما ما وقر في نفوسهما بأنه أهل لهذه الثقة ومحل لهذا العلم مما يؤكد أهمية هذا العنصر في الدعوة ، ثم أسند كل هذا الفضل إلى ربه، وبدأ عرض دعوته في وضوح وجلاء ويسر وسهولة .

***وما جاء في قصة موسى (عليه السلام) مع القبطي والإسرائيلي :**

حيث يقول الله (عز وجل) : ﴿ فلما أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما ، قال : يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس ؟ ، إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين . ﴾ [القصص : 19] ، فاحتجاج القبطي بعدم ملاءمة هذا السلوك من موسى (عليه السلام) مع دعوى الإصلاح يدل على أن موسى (عليه السلام) كان معروفاً عنه أنه صاحب دعوة إصلاحية قبل نبوته ؛ يقول الأستاذ سيد قطب (رحمه الله) : أما بقية عبارته ﴿ إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض ، وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ .. فتلهم أن موسى كان قد اتخذ له في الحياة مسلكاً يُعرف به أنه رجل صالح مصلح ، لا يحب البغي والتجبر ، فهذا القبطي يذكره بهذا ويورّي به ، ويتهمه بأنه يخالف عما عرف عنه ، يريد أن يكون جباراً لا مصلحاً ، يقتل الناس بدلاً

من إصلاح ذات البين وتهدئة ثائرة الشر [3] ولعل هذا المسلك كان تمهيداً للدعوة الكبرى التي جاء بها موسى (عليه السلام) بعد إرساله بالنبوة .

***وفي قصة نبي الله صالح (عليه الصلاة والسلام) :**

يقول الله (سبحانه) حاكياً عن قوم صالح : ﴿ قالوا : يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا ... ﴾ (هود : 62) ، جاء في محاسن التأويل : ... أي : كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد ، فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاوَراً في الأمور ، ومسترشداً في التدابير ، فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك [4] . وهذا من أبلغ التناقض في منطق الكافرين ، إذ إن اعترافهم بأن صاحب الدعوة هو الذي كان يُعد للخير والرشد فيهم لما ظهر عليه من أمارات ذلك كان يقتضي تسليم قيادهم له وإذعانهم لدعوته ، ولكنهم ارتكسوا وكفروا به وبدعوته .

***وفي سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أوضح الدلالات على أهمية (رصيد الداعية) :**

حيث يقول الله (سبحانه) : ﴿ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله ، أفلا تعقلون ؟ ! ﴾ [يونس : 16] ، ففي قوله ﴿ أفلا تعقلون ﴾ توبيخ شديد لهم وتسفيه لعقولهم ؛ لأنهم لم يلتفتوا إلى قوة الحجة الملزمة لهم ، وذلك أنهم شهدوا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- بما يوجب تصديقه والإيمان به ، ولم يكن ذلك عن موقف واحد أو أكثر ، بل كان على امتداد عمره -صلى الله عليه وسلم- مما يكون أبلغ وأوكد في الإلزام بالحجة ؛ يقول ابن القيم (رحمه الله) : ... الحجة الثانية [في الآية] : أني قد لبثت فيكم عمري إلى حين أتيتكم به ، وأنتم تشاهدونني ، وتعرفون حالي ، وتصحبونني حضراً وسفراً ، وتعرفون دقيق أمري وجليله ، وتتحققون سيرتي ... ثم جئتكم بهذا النبأ العظيم الذي فيه علم الأولين والآخرين ، وعلم ما كان وما سيكون على التفصيل ، فأي برهان أوضح من هذا ؟ ! [5] .

وقد استعمل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هذا الرصيد لديهم ، وأكد عليه، بل استنطقهم به ، وذلك عندما جهر بالدعوة إليهم كافة ، فقد قال لهم -صلى الله عليه وسلم- بعد أن اجتمعت بطون قريش على جبل الصفا إثر دعوته لهم بالحضور: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقيّ ؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال : فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديد [6]، فقد أبى -صلى الله عليه وسلم- أن يدعوهم إلى الدعوة الجديدة عليهم قبل أن يستخرج منهم رصيد الثقة فيه .

وهذا الهدي النبوي من نور الوحي القرآني ؛ حيث كان إيذان التحرك العلني بالدعوة هو قوله (تعالى) : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [الشعراء : 214] ، فإن (العشيرة الأقربين) أدعى إلى الثقة فيمن هم يعرفون سيرته ويخبرون طويته لما بينه وبينهم من صلة القربى والنسب ، ولا شك أنه لابد لبناء هذا الرصيد من كمال في المحاسن وسلامة من النقائص وحضور ومتابعة في الواقع ، وتتراكم آثار كل ذلك لصنع هذا الرصيد لدى المدعوين ، وهذا ما تشهد به سيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- .

***وهذا ما نشاهده في قصة الصحابي نعيم ابن النحام :**

حيث رُوي أنه حين أراد أن يهاجر جاءه قومه بنو عدي ، فقالوا له : أقم عندنا وأنت على دينك ، ونحن نمنعك ممن يريد أذاك ، واكفنا ما كنت تكفينا وكان يقوم بأيتام بني عدي وأراملهم ، فتخلف عن الهجرة مدة ثم هاجر بعد ذلك [7] ،

فنعيم (رضي الله عنه) كان له من أعمال الخير لدى قومه ما جعله أحد المكونات الرئيسة لنسيج مجتمعه ، بحيث يتهتك هذا النسيج إذا تخلى عن أفراد مجتمعه ، فلا يستطيع هؤلاء الاستغناء عنه ، مع استطاعته هو تركهم والهجرة عنهم ، أو استغلال هذه المكانة وهذا الرصيد في الدعوة لما يؤمن به دون أن يكون عنصراً بنّاءً لدعوى الجاهلية في المجتمع الذي يعيش فيه .

***معالم أخرى :**

هذا .. وقد يستدعي الداعية ما تركه دعاة آخرون من رصيد محفور في أذهان المدعوين الجدد مستفيداً من ظلال المواقف الناصعة والدعوة الواضحة لهؤلاء الدعاة، معتبراً نفسه امتداداً طبيعيّاً لهم وإن باعدت بينهم السنون والأيام ؛ وذلك كما فعل ونطق مؤمن آل فرعون : ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم في شك مما جاءكم به ، حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ﴾ [غافر : 34] ، فلقد اقتبس مؤمن آل فرعون الذكرى الطيبة ليوسف (عليه السلام) ؛ ذكرى العفة والعلم والأمانة والكفاءة ، مذكّراً إياهم بوضوح سابق دعوته ، فلقد جاءهم (بالبينات) ليربط بينه وبين صاحب الدعوة المعاصر لهم موسى (عليه السلام) الذي ﴿ جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ [غافر : 28] ، كما أوضح المؤمن لهم من قبل ، فهو يربط بين الداعيين نسباً ودعوة لتكون محصلة الدفع النهائية في أقوى صورها .

فعلى ذلك يستطيع المسلم توظيف (الرصيد الإيجابي الجمعي للدعوة) في دعوته الآخرين ، كما يحسن له أن يشارك في بناء رصيد الثقة لدى آخرين قد لا يستطيع دعوتهم ليأتي مسلم آخر فيستثمر هذا الرصيد مباشرة حين تحين فرصة الدعوة .

وكما أنه قد يُستدعى رصيد الدعوة لصالح داعية ما ، فإنه قد يبدده أفراد منتسبون إلى الدعوة ، وذلك بسوء سلوكهم الشخصي أو الدعوي أو عدم اتباعهم للحكمة في الدعوة ، كما يحدث أحياناً في واقعنا المعاصر ، فعلى المسلم الواعي أن يحرص ألا يكون معول هدم لما شيده الآخرون إذا لم يستطع أن يكون لبنة في صرح الدعوة المباركة .

---

(1) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد .
(2) لك أن تتأمل قوله (تعالى) : [ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم] [فصلت : 34] ، لتعرف أثر الإحسان إلى الآخرين في كسب حبهم وولائهم .
(3) في ظلال القرآن ، م5 ، ص2684 .
(4) محاسن التأويل للشيخ محمد جمال الدين القاسمي ، ج9 ، ص145 .
(5) بدائع التفسير ، جمع يسري السيد محمد ، ج2 ، ص395 .
(6) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد ، وانظر الرحيق المختوم ، ص79 ، ط مكتبة السلام .
(7) انظر المغني لابن قدامة المقدسي ، ج2 ، ص868 .

خواطر في الدعوة

أنماط التفكير

[3]

محمد العبدة

جاء الإسلام والإنسان العربي يملك صفات إيجابية فطرية تساعده على حمل الرسالة ، كما أن فيه صفات سلبية تحول دون ذلك ، فكانت آيات القرآن تتنزل لتصوغ شخصية المسلم صياغة أخرى تذهب عنه أوضار الجاهلية ومفاهيمها ،

وعاداتها وتقاليدها .
جاء الإسلام والعربي يغضب لكلمة ، ويثور لحادثة بسيطة ، فيكون من ورائها القتال والدمار ، وكانت الآيات القرآنية تطلب من المسلمين الصبر وعدم رد العدوان حتى يأذن الله وحتى يتمكن المسلمون في الأرض ، وتحول العربي المسلم إلى شخصية متماسكة متوازنة يغضب في محل الغضب ، ويرضى في محل الرضا ، ولا يتصرف ضمن دائرة الفعل ورد الفعل ، ولا يستطيع أعداؤه التلاعب به بالضغط على مكامن الضعف فيه .
انتشر الإسلام في الآفاق ، وكانت هذه التوجيهات تؤثر في شخصية المسلم من كل جنس ولون بعد أن صاغت شخصية العربي ، ولكن الناس لم يثبتوا طويلاً على هذا المنهج الرباني ، فعاد فريق منهم لطبيعته أو لبيئته الثقافية التي تربى فيها على ردود الأفعال وعلى التعصب لما ألفه ، فعندما ظهرت فرقة الخوارج بغلوها وضلالها وتشددها كانت ردة الفعل أن ظهر الإرجاء والتساهل في أمر الدين ، وأصبحت الأوامر والنواهي التي طالب الله بها عباده وكأنها لعالم آخر ، وعندما ظهر الاعتزال والانحراف عن المنهج الوسط ، وحكّموا العقل في النص الموحى به، كانت ردة الفعل أن وُجد من لا يريد للعقل أن يمارس دوره الطبيعي ، ووجد من ينفي الحكمة عن نصوص الشرع ويبتعد عن التفكر في أمر الله الكوني والشرعي ، بل ظهر من يلغي العقل تماماً ويعتبر أن مصدر المعرفة هو الرؤى والذوق والإشراق ، وعندما تفشى الترف والإسراف وحب الدنيا في المجتمع الإسلامي كان رد الفعل : الزهد البارد والزهد السلبي الذي أضر بالمسلمين ضرراً بالغاً .
وهكذا أصبحنا نعيش علمياً وثقافياً بل وسياسياً على ردود الأفعال ، ولا نفكر فيما ينفعنا في ديننا ودنيانا تفكيراً هادئاً مستقلاً ، ولقد نشأت في هذا العصر تجمعات إسلامية تدعو إلى الله ، قد تصيب وقد تخطأ ، ولكن بعض المسلمين مازال يتصرف ضمن دائرة ردود الأفعال ، فإذا وجد خطأ عند إحدى هذه الفصائل فيجب أن يخالفها في كل صغيرة وكبيرة ، ويعمل بعكس ما تعمل ولو كان عملها صواباً ، وتجده دائماً في حالة تشنج وضيق صدر ، فيقع منه الظلم والغبن لإخوانه ، وتقوم المعارك الكلامية التي لا فائدة منها ، فإلى متى تبقى شخصية المسلم شخصية انفعالية مزاجية سريعة التقلب ، لا يعرف إلا طَرَفَي القضية ، فإذا لم تكن معه فأنت ضده ، وإني لأظن أن من أسباب هذا التمزق في الشخصية عدم وضوح أو تحديد الغاية والهدف من الأعمال التي نريدها ، وبالتالي : عدم وضوح الأسباب المؤدية إلى هذه الغاية .
إن أعداءنا يعلمون هذا منا ، فيقومون ببعض الأفعال ليكون رد الفعل مناسباً لهم ، وإذا لم نتمكن من وحدة التفكير ووحدة الهدف ، فسيكون الأمر كما قيل : كلٌ يغني على ليلاه .

هموم ثقافية

التنمية بين المشروع الحضاري الغربي والمشروع الحضاري الإسلامي
(2)

أ . د . نبيل السمالوطي

تحدث الكاتب الكريم في الحلقة السابقة عن الفرق بين منطلقات المشروع

الحضاري الغربي والمشروع الحضاري الإسلامي ، وبيّن مفهوم الحضارة وفضل المسلمين فيها ، ثم بيّن أهم جوانب الاختلاف بين المشروعين ، وأوضح من هذه الجوانب : الموقف من الكون والحياة ، والنظرة إلى الطبيعة الإنسانية ، والموقف من مصادر المعرفة ومصادر التوجيه .. ويواصل الكاتب في هذه الحلقة بيان جوانب أخرى من الموضوع .

الجانب الرابع : من جوانب الصراع بين المشروع الحضاري الغربي والمشروع الحضاري الإسلامي يتمثل في الموقف من العلم والعالم [1] ؛ فالعلم المادي التجريبي في المشروع الغربي هو المصدر الأساس والوحيد للسيطرة على البيئة ، وهو المصدر الوحيد للرفاهية والرزق والتقدم ، فالإمكانات في العالم هي الإمكانات المادية التي يمكن حسابها ومشاهدتها وإخضاعها للبحث العلمي الواقعي من خلال الحاسبات الآلية ، والعلم هو السبيل الوحيد للتنمية والتقدم ، ولا شيء خارج العلم والعالم المحسوس ، وهذا يعني : أن منطلقات العلم وآلياته وأهدافه تدور في دائرة المادية والعلمانية والنفعية والقدرة البشرية لاغير .

وفي المقابل نجد أن المشروع الإسلامي يرفع من مكانة العلوم الشرعية والتجريبية ويعدها جميعاً علوماً إسلامية ، طالما أن المسلم مكلف بالنظر والبحث والتجريب ، وطالما أنها تصدر عن عقل بشري مخلوق لله (تعالى) ، وطالما أنها تبتغي الوصول إلى الحقائق (العلوم الشرعية) أو إلى القوانين أو السنن التي تحكم ظواهر وحركات الكون والإنسان والمجتمع والتاريخ ، وهي في النهاية سنن الله في خلقه . وهذا يعني : أن الاهتمام بالعلوم الشرعية والتجريبية في المشروع الإسلامي يعد مطلباً دينياً يتصل بالعقيدة ذاتها ، فطلب العلم فريضة ، ويجب أن يكون المجتمع المسلم هو الأقوى مادياً لإنفاذ رسالة الإنسان على الأرض ، وهذا لن يتأتى إلا بالتقدم العلمي والتقني ، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، غير أن العلم التجريبي في نظر الإسلام ليس قادراً على كشف وتفسير كل أسرارالكون والإنسان، وهذا العلم يجب أن يوضع في حجمه الحقيقي وأن يوجه لنفع الإنسان ، وهذا يعني : أن هناك ضوابط عقدية وأخلاقية تحدد منطلقات العلم التجريبي وآلياته وأساليب الاستفادة منه وتوجيه نتائجه . والمشروع الإسلامي لا يعد العلم هو الوسيلة الوحيدة للسيطرة على البيئة أو استثمارها ، ولا يعد الإمكانات المنظورة التي يكشف عنها العلم هي الإمكانات الوحيدة المتاحة للإنسان وللعالم ، فهناك سنن الله التي لا تتخلف ، وهناك عنصر البركة الإلهية والفتوحات الربانية والرزق الإلهي والأرزاق المخبوءة التي لا ندركها ، والتي ترتبط بالإيمان والتقوى ؛ قال (تعالى) : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ [الأعراف : 96] وإلى جانب عامل البركة هناك عامل فضل الله وتنزيله الرزق على العباد ؛ ﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ [البقرة : 212] وهناك عامل الطمأنينة وهي نعمة لا يمكن للعلم وحده أن يحققها قال (تعالى) : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ [الرعد : 38] .

وهذا يعني أن المشروع الغربي بركونه إلى العلم المادي البشري أسقط عدة أمور ؛ أهمها أنه أسقط السنن الإلهية الماضية في المخلوقات ، وأسقط قدرة الله وقدره ، وأسقط عاملي الاطمئنان والبركة الإلهية ، وأسقط التوجيه الأخلاقي لنتائج العلم ولمساراته ومضامينه وفق المنهج الإلهي ، وهذه الإسقاطات أدت إلى شقاء الإنسان في ظل مجتمع الوفرة والتقدم العلمي والتقني ، وكأن وظيفة العلم هي زيادة كمية المتعة والرفاهية المادية فقط ، وهنا ينطبق على المؤمن بهذه الفلسفة قوله (تعالى) : ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام ، والنار مثوى لهم ﴾ [محمد : 12] .

والعلم في المشروع الحضاري الإسلامي يرتبط بالمسخرات الكونية من جهة ، ويرتبط بقدرات الإنسان وفعالياته من جهة أخرى ، ويرتبط بأساليب الانتفاع بهذه المسخرات من جهة ثالثة ، فإذا كانت علاقة الإنسان بالبيئة هي علاقة تسخير وليست علاقة صراع كما صورها الغرب ، فإن المسخرات الإلهية التي هيأها الله للإنسان على قسمين :

الأول : مسخرات يحصل عليها الناس في كل زمان ومكان دون جهد كالماء والهواء .

الثاني : مسخرات تتطلب جهداً بشرياً للانتفاع بها وفهم قوانينها وتوظيفها في خدمة الإنسان والمجتمع ، وهذه يتطلب الانتفاع بها : التعليم والبحث العلمي والعمل والتطبيقات التقنية والصناعية ، وهذه المسخرات الكونية أتاحها الله لجميع خلقه مؤمنين وكافرين ، فالكون ليس متحيزاً للمسلم وليس موجهاً ضد الكافر ، فعطاء الله في المجال المادي للجميع ؛ ﴿ كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ، وما كان عطاء ربك محظورا ﴾ [الإسراء : 20] ، فالله (سبحانه وتعالى) يمكّن للجميع ، وهناك فرق كبير بين تمكين الله للمؤمنين وتمكينه للكافرين ، فالأول تمكين رضاً وقبول في الدنيا والآخرة ، والثاني تمكين استدراج ولا يكون إلا في الدنيا فقط ، وكل أنواع التمكين يتطلب جهداً فاعلاً ومؤثراً من جانب الإنسان [2] .

الجانب الخامس : من جوانب الخلاف بين المشروع الحضاري الغربي والمشروع الحضاري الإسلامي يتمثل في تحديد محركات الحياة البشرية والاجتماعية ؛ فالمشروع الغربي يؤكد على المجتمع التنافسي وعلى الديموقراطية والحرية الفردية ، أو على تعددية الصراع في الاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية ، وهم في هذا ينطلقون من أن الموارد نادرة وقد تم إحصاؤها في العالم من خلال العلم ، وأن زيادة السكان عقبة تواجه باستمرار عمليات التنمية والتطوير ، وأن البقاء للأقوى مادياً ، ويجب استمرار التنافس والصراع كآليات لتحقيق التقدم .

وهذا التنافس الصراعي ملاحظ على مستوى الأسرة والمجتمع في الغرب ، كما أنه ملاحظ على مستوى العلاقات الدولية بين دول الشمال والجنوب أو الدول الغنية والفقيرة (محاولات السيطرة وفرض سياسات وثقافة الغرب على الدول النامية، وافتعال الأزمات لترويج تجارة الأسلحة ، ومحاولة الضغط لتوجيه معدلات التبادل التجاري العالمي لصالحهم ، والحصول على المواد الخام بأبخس الأسعار ، واستخدام آليات الديون والقروض والتسليح والخبرات العلمية ونقل التقنية والإعلام .. لخدمة أهداف الغرب المادية ..) .

وفي المقابل فإن المشروع الإسلامي يؤكد على المجتمع التراحمي الذي ينطلق من قوله (تعالى) : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ [الحجرات : 10] وقوله -صلى الله عليه وسلم- : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه [3] ، مجتمع الشورى والعدل والمساواة والتنافس الشريف في كل مجالات الخير والعطاء والإنتاج ، والمشروع الإسلامي يؤمن بالأسباب وبالعلم وبقدرة العقل على الفهم والتفسير والإحصاء والتحليل والتركيب ، لكنه يؤكد أن العقل والقدرة البشرية محدودان ، فهما لا يستطيعان حصر كل خيرات الأرض ، فهناك مصادر أخرى للطاقة وللغذاء سوف يتم اكتشافها ، والأرض لا يمكن أن تضيق بسكانها لأن الله هو الرزاق ولأنه هو (سبحانه) الذي بارك فيها وقدر فيها أقواتها ، قال (تعالى) : ﴿ .. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [الذاريات : 58] ، وقال (تعالى) : ﴿ .. وبارك فيها وقدر فيها أقواتها ﴾ (فصلت : 10) وهذا يعني أن افتراض المشروع الغربي أن الإنسان قادر على اكتشاف كل إمكانات الأرض ، فرض لم يثبت صحته

على المستوى الديني ، وأيضاً على المستوى العلمي التجريبي فكل يوم تكتشف مصادر جديدة للغذاء والطاقة ، وكل يوم يتم اكتشاف حقائق علمية وتطبيقات تقنية تسهم في زيادة استفادة الإنسان من البيئة واستثمار معطياتها بشكل أفضل ، الأمر الذي يزيد مصادر الغذاء والكساء والطاقة ومختلف الموارد ، وفوق هذا كله : العطاء الإلهي والبركة وتوفيق الله ، وهي عوامل لا يمكن حسابها من خلال الآليات البشرية كالكمبيوتر ، وعلى عكس المشروع الغربي : فإن المشروع الإسلامي لا يربط التخلف بزيادة السكان ، ولا يرى في هذه الزيادة معوّقاً حتمياً للتنمية ، فالقضية يتم النظر إليها من مناظير متعددة ؛ فالسكان هم طاقة اقتصادية ومورد أساسي من الموارد النادرة ، وعامل رئيس من عوامل الإنتاج ، بشرط حسن استثمارها وتوجيهها وتوظيفها من خلال برامج التعليم والتربية والتدريب والإعلام ، وما تزال المناطق الصحراوية ومناطق الغابات والأراضي القابلة للزراعة تمثل غالبية أراضي الدول التي تعاني مما يطلق عليه الانفجار السكاني ، وما تزال في هذه الدول طاقات وإمكانات وموارد يمكن استثمارها إذا أحسن استثمار وتوجيه الطاقات البشرية ، وهناك الإمكانات غير المحدودة للبحار والموارد المائية وهناك العجز في استيعاب التقنية ، والعجز الأكبر في استنباتها وتطويعها للبيئات المحلية ، وهذا يعني أن العديد من الدول تخلق مشاكل سكانية لنفسها (بطالة جرائم تضخم زيادة نسبة الإعالة زيادة استهلاك إجهاض برامج التنمية ... إلخ) لا بسبب كثرة السكان ولكن بسبب سوء التخطيط في الموارد البشرية وهجرة العديد من الكفاءات العلمية والفكرية بسبب عدم تقديرها واستثمارها بشكل علمي مخطط ، وعدم كفاية النظريات التعليمية والتدريب ، يضاف إلى هذا : أن هناك دولاً تعاني من نقص الموارد البشرية وتقبل الهجرات وتضع عليها العديد من القيود ، وهنا لا تصبح المشكلة مشكلة زيادة في السكان ، وإنما مشكلة توزيع وتنظيم للهجرة سواء الداخلية أو الخارجية أو العالمية ، وهذه ترتبط باعتبارات سياسية واجتماعية واقتصادية ، وحتى على مستوى الدول الإسلامية والعربية ، فأغلب الدول باستثناءات قليلة مثل مصر والجزائر .. تعاني من قلة سكان ، وحتى هذه الدول المستثناة فإن الإشكالية فيها في نظر بعض الباحثين هي تراجع معدلات التنمية وعدم كفاءة الاستثمارات المادية والبشرية ، وهناك تجارب تثبت أن أكبر الدول سكاناً هي أعلى الدول في معدلات التنمية ، والدليل على هذا أن معدل التنمية في الصين يصل إلى 13% وهو أعل من معدلات التنمية في الكثير من دول الغرب .

وقد عالج بعض الكتاب هذه القضايا بشكل جيد مثل فهمي هويدي في مقالاته بالأهرام القاهرية [4] التي أورد فيها تأكيد الأكاديمية الإفريقية للعلوم في بيانها بمناسبة الدعوة إلى المؤتمر الدولي للسكان والتنمية الثالث في القاهرة في أغسطس الماضي ، أن السكان من أهم عناصر التنمية في إفريقيا ، وأن محاولة تخفيض معدلات نموهم يؤدي إلى إهمال موارد القارة وعدم الانتفاع بها .

وإذا ما انتقلنا إلى الديموقراطية في المشروع الغربي والشورى في المشروع الإسلامي ، نجد فروقاً جوهرية في العديد من الأمور ، منها : حدود الديموقراطية ، والضوابط والمعايير أو الثوابت التي يجب الالتزام بها ، وآليات تحققها ، ونوعية الأشخاص الذين لهم حق إبداء الرأي ، فإذا كان الاثنان يتفقان في بعض الأهداف مثل المشاركة وتجنب الاستبداد وتحقيق المصالح العامة ، فإن المجتمع الغربي في غيبة الثوابت الأخلاقية الفطرية يضل الطريق ويقنن الانحراف والفساد والضلال في بعض المجالات الحياتية .

***ملاحظات ختامية :**

وفي نهاية هذا العرض الاجتهادي أود أن أطرح بعض الملاحظات الختامية ،

وهي :

أولاً : يجب التمييز بين معطيات المشروع الحضاري ، وبين معطيات الواقع الممارس ، فالمشروع الحضاري الإسلامي كما عرضت له يُستمد في جانب الثوابت من المصادر الشرعية ، وفي جانب الاجتهاد من رؤية كل مجتهد ، وهناك فرق بين هذا المشروع الذي طبق فعلاً في بعض العصور مثل العصر النبوي وعصر الخلافة الراشدة وبعض العصور الأخرى ، وبين واقع المسلمين كما نراه اليوم ، وبالمثل : فإن هناك فروقاً كبيرة بين القيم الإنسانية المهمة المعلنة للمشروع الغربي مثل تحرير الإنسان ، وتحقيق المساواة بين البشر بغض النظر عن الاختلافات العرقية واللونية والطبقية والمجتمعية ، والمناداة بحقوق الإنسان ، وضرورة المشاركة في المسؤولية والقرار ، وتداول السلطة ... إلخ ، وبين واقع التطبيق سواء أكان ذلك داخل مجتمعات الغرب أو في علاقاتها مع مجتمعات العالم الثالث ، أو حتى في علاقاتها مع بعضها البعض .

ثانياً : أن كل جوانب التقدم العلمي والتقني ، والتقدم في بعض مجالات التقنية الاجتماعية كالتخطيط والتنظيم والإدارة والتسويق ... في الحضارة الغربية ، تنطلق من الأخذ ببعض القيم الإلهية الداعية إلى العلم والتعليم والعمل والإنتاج والاستثمار وتعمير الأرض ... إلخ ، وهذه القيم سبق إليها الإسلام وطبقها المسلمون في بعض العصور ، فسادوا العالم وفتحوا آفاقاً واسعة في كل مجالات الفكر والعلم ، وهي ذاتها القيم التي عندما تركها المسلمون وقعوا في أسر التخلف والسيطرة الأجنبية والتبعية للغرب .

ثالثاً : هناك أوجه إيجابية وأخرى سلبية في المشروع الغربي ، وهناك أوجه التقاء وأوجه اختلاف مع المشروع الإسلامي ؛ وعلى سبيل المثال : هناك بعض جوانب الاتفاق والاختلاف في الموقف من العلم والإنتاج والتقنية والمشاركة والوقت ... بين المشروعين الحضاريين المذكورين ، وهناك أيضاً تفاعل إيجابي بين المشروعات الحضارية ، وقد كانت الحضارة الإسلامية أكثر الحضارات انفتاحاً وتفاعلاً مع الحضارات الأخرى المختلفة ، ابتداءً من قبول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لتقنية حفر الخندق ، وقيام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بتدوين الدواوين ، ومروراً بعصر النهضة العلمية في العصور الإسلامية المتعاقبة وحتى اليوم ، فتقبل كل ما يتلاءم مع مقاصد الإسلام .

رابعاً : كل الأفكار والنظريات والمداخل والمدارس المطروحة في مجال التنمية تنبثق بشكل أو بآخر من خلفيات معينة هي التي تشكل أساسيات مشروع حضاري معين أو آخر ، ولهذا تتباين النظريات والمداخل والمدارس .

---

(1) يحيى هاشم حسن : الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة : دار المعارف ، مصر ، 1984 ، ص 164 وما بعدها .
(2) محمد قطب : حول التفسير الإسلامي للتاريخ .
(3) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب : من الإيمان أن يحب لأخية ما يحب لنفسه ، وأخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، ح/71 ، 72 .
(4) فهمي هويدي : هوامش على مؤتمر السكان والتنمية : الأهرام القاهرية، أغسطس 1994 ص 9 .

مقال

بين العصمة والوصمة

سليمان بن عبد العزيز الربعي

ينتابُ المرء في أحايين كثيرة قلق غريب إزاء مستقبليات الدعوة إلى الله (جل

وعلا) ، مصحوباً بشعور متنامٍ بأنها لازالت بحاجة ماسة إلى ترشيد جانبها العميق الملاصق لحال العاملين في حقلها .

وقد كان ثم جهود خيّرة أريد لها ملء هذا الفراغ والقيام بواجبه المهم ، غير أن القوالب الرئيسة في العمل الآني استحوذت على الاهتمام نظراً لبعدها الخطابي من جهة ، وروحها المتوثبة من جهة أخرى ، الأمر الذي أدى إلى سد المنافذ لتطويرها وصرف نظر الدعاة عنها في وقت دعت الحاجة فيه إلى تربية شمولية .

وإن من جوانب التكامل في العمل الدعوي بخاصة إيضاح الرؤية وفق أطر من الموضوعية والتجرد وإخلاص النية والقصد فيه لله (سبحانه وتعالى) ، مما يساعد بإذن الله على تلافي الأخطاء وإيجاد البدائل المناسبة للوضع المراد إزالته ، سواء أكان في جانبها النظري غير المرتبط بتشريع أو في جانبها التطبيقي الذي يمارس من خلال اجتهادات قابلة للصواب والخطأ ، ولعل من قبيل تلك الأخطاء الملاصقة لحال العاملين في نظري ما يحيطه الظرف المكاني والزماني ، إضافة إلى عامل المساندة الجماهيرية بتكويناتها المتعددة لأولئك الدعاة الأخيار من جوٍ مأهولٍ بكل ذرة من ذراته بالإشعار المكرور بمنزلتهم ومكانتهم وفضلهم .. إلخ ، مجاوزاً حدوده الشرعية إلى مرادات بعيدة عن هدي سلفنا الصالح ، قريباً من نزغات الغالين المجاوزين .. وبمجموع ذلك كله يخشى السابر لمجريات الأمور وجود عينات ترفض محض النصح ، وترد ملحوظات المعنيين ، وصولاً إلى تأهيل رموزهم إلى درجة من العصمة ! لا تنبغي إلا لرسل الله (صلوات الله وسلامه عليهم) قصدوا ذلك أو لم يقصدوه ، مبدين مفارقة عجيبة في واقعهم حين تبرز لديهم روح الرفض لمبدأ العصمة في أولئك الدعاة في الوقت الذي يرفضون فيه إبداء النقد المباين المتحرر ! بل إنهم يتجاوزن ذلك بفرض تصنيف معين لذلك الناقد الملاحظ، من مثل : المثبط البعيد عن الساحة الراجم بالغيب المتصيد للأخطاء الناقد بلا عمل الشانئ الحاسد وما شئت من هذه المنظومة ، ويقيننا جميعاً : أن الدعاة إلى الله (سبحانه) يرفضون هذا التوجه المؤسف ، لكن بعضهم مقصر في البيان ، والبعض الآخر مقتصرعلى جانب واحد فقط في تربية الجمهور ، على أن إبداء الخطأ للعالم أو للداعية ومواجهته به بنية طيبة صافية ينال نصيباً من فرض العين !

إنّ الداعية المخلص يجب أن يكون ذا روح كريمة تعمل على تطبيق قناعتها الراسخة : رحم الله من أهدى إلينا عيوبنا ، ووجود مثل تلك العينات حول الداعية ونحوها المطرد في الحقل بعموم : كفيل بإيجاد فجوة كبيرة تفصل الجمهور عن الدعاة ، بل إنه شعور موجود يبثه كثيرون عند الحديث عن مشكلات التواصل الدعوي ، وإذا كنا نسمع عن حرية التعبير التي يرددها خلق كبير من الدعاة ويدعون إلى لون منها ، فإنهم مطالبون أولاً بحمل القريبين منهم على هذا المفهوم ، من أجل تعامل أحسن في قابل الأيام والأعمال ، وحتى يتيحوا الفرصة لكل حادب ناصح مشفق ليقول ما تبرأ به الذمة .

اليوم يغيب هذا الوعي عن الكثيرين بدرجة متنامية ، فلكل داعية جمهور من المريدين يقابلون الملاحظ بعاصفة من السخريات الشامتة على موقعه الذي لا يحسد عليه بين يدي ذلك العالم الداعية لمجرد تفوهه بملحوظة سيقت بقالب مهذب مؤدب ، بل يُلاحَق في حله وترحاله بوصمة المباينة عن المسار الرشيد الذي يتزكى به الواصمون ، وحين لا يكون النقد موجهاً لعَلَمهم تنثال عبارات المديح لقوة الملاحظة وجودتها عند هذا الأخ الكريم والشيخ المبجل الحكيم ! ! وبقدرة عزيز حكيم تندرس تلك الوصمات ، وتغيب هاتيك المعايب ، بل وينسون ابن عساكر برمته وماذا قال !.

إن بين الموقف الأول والآخر المباين لحمة قوية من الجهل وضيق الأفق تكاد تنسحب إلى توصيف عمومي .

وبين هذا وذاك ينشغل الحقل الدعوي كله إلا من رحم ربك منهم عن إيجاد حل لهذا المزلق المتعاظم بحجة الرد على ملاحظ لبق ، هم في نقاشهم المحتدم معه ينفون عن ذاك الداعية قداسة العصمة ، غير أنهم لا ينسون أبداً رد كيد هذا الشانئ في نحره وإلغاء باطله بالوصمة ! !

نص شعري

قبيل الفجر

محمد بن ظافر الشهري

إيه .. يا أنجماً ..
لم تزل تتفيأ جنحَ الظلامْ
يا زينةً .. ومصابيحَ
أطفأها الغيمُ .. أو كادَ ..
بُعداً لهذا القتامْ !
آه .. لو تسمقين على الطقسِ
.. لو ترجمين هواكْ ! !
إذن .. لتألقتِ
في عين سّيارة الفجرِ ..
لن يجد الركبُ بُداً
من الاهتداء إذا ما رآكْ
فغايتهُ ..
جسدٌ كاملٌ في ترابٍ حرامْ
وولوجٌ إلى السّلمِ .. لا في السلامْ
...
حاول البومُ أن يمتطيكَ
بنصف جناحْ !
أي شيء عراه ؟ !
حين عاد يسبّ الصباحْ ! !
شاهداً
أن مكثَ السديمْ
قد يطول .. ولكنه لا يدومْ
حَدّثينا ..
فلسنا نملّ حديثَ النجومْ
حدثينا ..
فإن علينا السماعْ
وعليكِ الكلامْ !

من قضايا المنهج

لمحات في فن الحوار .. الحلقة الأولى ..
[ضوابط الحوار]

مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

محمد محمد بدري

قد نرى بعض الفرقاء كلما أرادوا ائتلافاً تفرقوا .. وحيثما جلسوا لتسوية خلاف تشتتوا وتنازعوا ! !

ولا يرجع ذلك إلى نوعية الأخلاق المتردية لهذا الفريق أو ذاك فقط .. وإنما يرجع قبل ذلك وبعده إلى الجهل بعلم الحوار وفن المحاورة الذي يجعل المتقاربين في الأهداف والأفكار في خلافٍ دائم ، ونزاع مستمر ، وفُرقة مقيتة ! !

ولكي لا نسقط في فتنة الفُرقة لابد أن نرتفع بحواراتنا إلى مستوى أن تصبح علماً نتلقاه ، وفناً نتدرب على أساليبه ونمارسه للوصول إلى أهدافنا النافعة ، بعيداً عن الارتجال وتغييب الخيال !

وهذه المقالة ، دعوة لتعلم ضوابط الحوار التي تحكمه ، والتدرب على أساليبه التي تخدمه ، والتعرف على عوائقه التي توقفه .. حتى يكون كلامنا باعتدال ، وجدالنا بمنطق ، وحوارنا باتزان ، سائلاً الله التوفيق والسداد .

لكل حوار ضوابط تحكم مساراته ، وتوجه تلاقح الأفكار خلاله .. وضوابط الحوار فضلاً عن كونها آداباً وأخلاقاً هي جزء رئيس ومؤثر في فعالية أي عمل يُبْنى على الحوار .. ذلك : أن أي عمل في بدايته هو مشروع في محتوى بعض الكلمات والأفكار التي ينميها الحوار ويخصبها ، ويبعث فيها روح العمل .

ولا شك أن ضوابط الحوار إنما تقوم على أصول سلفنا الصالح أهل السنة والجماعة في تمحيص الآراء المتباينة ، وتجلية الإشكالات المتوقعة ، دون تَحَول الحوار إلى مهاترات يضيع معها الود لتحل محله الجفوة والقطيعة .

ومن هذه الضوابط :

1- السماع الكامل :

الحوار هو : فن السماع للآخر ، وعدم الطمع في الكلام بدلاً منه ، لأن هذا الطمع يزهدنا فيما يقوله مَن نتحاور معه ، ويحرمنا من تَدبّر قوله الذي لا يتحقق إلا بالسماع الكامل لهذا القول حتى دُبرَه أي : آخره .

كما أن السماع الكامل للآخر يُشْعِره باهتمامنا بما يقول ، وجديتنا في التحاور معه ، وثقتنا في الوقت ذاته فيما عندنا .

وتأمل معي هذا الحوار بين عتبة بن ربيعة والنبي -صلى الله عليه وسلم- ، لقد أتى عتبة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى جلس إليه ، فقال : يا ابن أخي، إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكانة في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم ، وسفّهت أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها ، قال رسول الله ص : قل يا أبا الوليد ، أسمَع . قال : يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء ، وبذلنا فيها أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه .. أو كما قال ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يستمع منه ، قال : أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : فاستمع مني . قال : أفعل . قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : بسم الله الرحمن الرحيم حم * تنزيل من الرحمن الرحيم ... (فصلت : 12) [1] .

فانظر رحمك الله إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- كيف يستمع إلى عتبة

وهو يعرض عليه هذه الخواطر التي تثير الاشمئزاز مقارنة بما يشغل النبي من عظائم الأمور ، ومع ذلك يتلقاها النبي حليماً ، ويستمع إليه دون مقاطعة عتبة ويردد في نهايتها : أفرغت يا أبا الوليد ؟ . فيقول : نعم ، فيقول الرسول الكريم : فاستمع مني ، بل لا يبدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- كلامه حتى يقول له عتبة : افعل .. فيبدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- في تلاوة قول ربه في ثقة وطمأنينة ! !

إن السماع الكامل للآخر ، وإعطاءه الفرصة حتى يُتم كلامه ، مع استوضاح أي غموض فيما يعرضه من أفكار .. إن كل ذلك لا بد أن يكون هو السمة المميزة لكل حواراتنا ، فإذا تبين لنا خطأ الآخر ، فإن السماع الكامل له وعدم مقاطعته هو المقدمة الصحيحة لرجوعه عن الخطأ مهما كان عناده وغلظته ؛ فإن أشد الناس جفافاً في الطبع وغلظة في القول لا يملك إلا أن يلين وأن يتأثر إزاء مستمع صبور عطوف يلوذ بالصمت إذا أخذ محدثه الغضب [2] .

2- تجريد الأفكار :

هدف الحوار هو الاستفادة من الأفكار وليس تدمير الأشخاص ، ولذلك ؛ فإن من أهم ضوابط الحوار : التركيز على فض الاشتباكات الفكرية دون التعرض السلبي للأشخاص بتشويه أو تجهيل ، فلا خلاف مطلقاً بين أشخاص المتحاورين ، وإنما بين أفكارهم ، والفكرة الحسنة تُمْتدح بغض النظر عن قائلها ، والفكرة الخطأ تُرَاجع دون تسفيه قائلها أو التهكم منه ، فالنظر دائماً إلى الآخر من خلال ما قيل ، لا من قال [3] ، مع احترام أهل العلم ، وحفظ مكانتهم ومراتبهم ، فلا نؤثمهم مطلقاً ولا نعصمهم مطلقاً ، ولا نقبل كل أقوالهم ولا نُهْدرها كلها ، وإنما ننتفع بأفكارهم ما دامت حقاً ، ولا نعتقد فيهم العصمة من الخطأ ، ونرى أن الآخر قد يمتلك الحق أو أنه يكون هو الراجح عنده ، وأن ما عندنا يحتمل الخطأ أو أن يكون هو المرجوح .

ولا شك أن التحاور ضمن هذا المبدأ مبدأ افتراض المخالفة هو المدخل الذي يضع الآخر في أول الطريق الصحيح للتفكير ، لأنه يرى أن من يحاوره يضع نفسه معه في موضع المجادلة المشتركة لمعرفة الحق ؛ ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ [سبأ : 24] .. هكذا في هدوء من يبتغي للآخر الإرشاد وليس الإفحام والإذلال ، وفي ثقة من أخلص للحق المجرد فصح انقياده له ، ولم يهتم بمن قاله من البشر ، وإنما كان جُل اهتمامه بالقول في ذاته وتمييز الحسن منه والأحسن، ثم اتباع الأحسن ، فكان من أصحاب البشرى بالنجاح وتحقيق الأهداف في الدنيا ، والنعيم في الآخرة ؛ ﴿ فبشر عبادٌ * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب ﴾ [الزمر : 17 ، 18] .

3- ترك المراء :

قد يُخْفِي الحوار في نفس من يمارسه حباً خفياً للتميز على الآخر ، ولا يمكن اكتشاف هذه العورة النفسية إلا بأن يترك المحاور المراء والجدل ، ويلتزم بيان الحق بالحجج والبراهين .

ومن هنا : فقد وعد النبي -صلى الله عليه وسلم- تارك المراء ببيت في الجنة .. قال -صلى الله عليه وسلم- : أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً [4] .. فرغم الاعتقاد بملكية الحق لا يكون إثباته عن طريق المراء والجدل ، وإنما عبر الطرق والمسارات الشرعية التي تصل بسالكها إلى بيان الحق ، وعدم الانتقال بأي حال من الأحوال من شواهد الأدلة إلى دوافع الآخر ، أو من إقامة الحجج للتدليل على صحة ما نراه ونعتقده إلى إثارة الجدل للتدليل على خطأ الآخر وخبث بواعثه .. فيدور حوارنا في حلقة مفرغة ، ويتفرع إلى مضايق ومتاهات تتمزق فيها الأفكار ويُقْتل التفكر والتدبر على مذابح المراء والجدل العقيم ! !

إن المراء يغلق باب الحوار ويلغيه ، لأنه يدفع طرفي الحوار إلى التصور الخاطئ : بأن حوارهما هو مباراة لا تكون نتيجتها إلا قاتل أو مقتول ، فلا يبحث كل منهما عن حقائق أو أدلة ، وإنما يكون بحثه وجهده في محاولة إغراق الآخر في طوفان من الكلام الذي يُضيع الوقت والجهد في غير فائدة ، ويوغر الصدور ، ويكرس الفرقة .

4- تغافر لا تنافر :

الحوار هو لون من ألوان التشاور حول بعض الموضوعات والأفكار ، ومن ثم : فهو جلسة تناصح وتغافر وليس جلسة تصارع وتنافر ، فمع قبول رأي الآخر أو رفضه تبقى طهارة القلب وصفاء السريرة نحوه ، مع قبول معذرته والتغافر عن خطئه إن وقع ، بل والحرص على أن يخرج الحق على لسانه ، فقد رُوي أن الإمام أبا حنيفة (رضي الله عنه) رأى ولده حماداً يناظر في المسجد فنهاه ، فقال له ولده : أما كنت تناظر ؟ قال : بلى ، ولكن كنا كأن على رؤوسنا الطير من أن يخرج الباطل على لسان الخصم ، بل كنا نود أن يخرج الحق على لسانه فنتبعه ، فإذا كنتم كذلك فافعلوا ! ! [5] .

وهذه هي سيماء سلفنا الصالح في حواراتهم ، فقد ذُكِر عن حاتم الأصم أنه قال : معي ثلاث خصال أظهر بها على خصمي ، قالوا : وما هي ؟ قال : أفرح إذا أصاب خصمي ، وأحزن إذا أخطأ ، وأحفظ نفسي لا تتجاهل عليه ، فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) فقال : سبحان الله ! ما كان أعقله من رجل [6] .

.. نعم ، ما أعقله من رجل يحب أن يُظْهر الله الحق على لسان أخيه ، ويحاول رؤية الحق من أي وعاء خرج ، ومن أي جهة سطع .

إن من طلب الحق فأخطأه لا يمكن تسويته بمن طلب الباطل فأدركه ، فطالب الحق وإن أخطأ نتجاوز عن خطئه ، ونغفر له تجاوزه ، وإن كان ثمة عتاب فبالمودة والإخاء والقول الحسن .

وتأمل معي ما جاء في سيرة علي بن الحسين (رضي الله عنه) : لقد كان بينه وبين ابن عمه حسن شيء ، فما ترك حسن شيئاً إلا قاله ، وعلي ساكت ، فذهب حسن ، فلما كان الليل ، أتاه علي فقال : يا ابن عمي إن كنت صادقاً فغفر الله لي ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك ، والسلام عليكم . فالتزمه حسن ، وبكى حتى رثي له [7] .

إن الحوار جلسة بدء علاقة يظللها الحب والتغافر ، ولسان حال المتحاورين :

من اليوم تعارفنا ونطوي ما جرى منا
فلا كان ولا صار ولا قلتم ولا قلنا

5- الصدق والوضوح :

الصدق مع كونه ضابطاً من ضوابط الحوار هو خلق نبيل لا خيار للمسلم في التحلي به ، .. والوضوح في الفكرة هو وسيلة قبولها من الطرف الآخر .. والوضوح في المواقف له أكبر الأثر في تصفية القلوب وإعادة الود .

ومن هنا كان الصدق والوضوح هما طريق التآلف وحصول البركة ، قال رسول الله ص : البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما [8] .

وكما أن البيع المبني على الصدق والوضوح هو بيع مليء بالبركة ، كذلك الحوار القائم على الصدق والوضوح هو حوار مبارك ييسر الله تعاون أطرافه على البر والتقوى ، ويبارك جهودهم المتعاونة على نصرة الحق .

ومن هنا وجب علينا في كل حواراتنا أن نتجنب الكلمات الغامضة التي تؤدي

إلى سوء الفهم ، وتجنب أساليب المغالطات والدفاع عن الأوضاع الخاطئة التي تؤدي إلى إثارة الحقد ، وإيغار الصدور والقلوب ، وذهاب الود بين طرفي الحوار ، ومن ثم تكون النتيجة هي فشل الحوار في تحقيق أهدافه .

6- العلم والعدل :

الحوار الناجح هو حوار يضبط العلم مساره ، ويوجه العدل موقف كل طرف فيه تجاه الآخر .

فأما العلم ، فإنه لا يستقيم حوار بدونه ، بل في غيابه يصبح ضرر الحوار أكثر من نفعه ، لأن جهود المتحاورين في هذه الحال تذهب سدى وتضيع بلا ثمرة تذكر .. روى الإمام أحمد في مسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال بعضهم : ألم يقل الله كذا وكذا ؟ قال : فسمعهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فخرج ، فكأنما فُقئ في وجهه حب الرمان ، فقال : بهذا أمرتم ؟ ! ، أو بهذا بعثتم ، أن تضربوا القرآن بعضه ببعض ؟ ! إنما هلكت الأمم قبلكم في مثل هذا ، فانظروا الذي أمرتم به فاعملوا به ، وانظروا الذي نهيتم عنه فانتهوا عنه [9] ، يقول ابن تيمية (رحمه الله) في التعليق على هذا الحديث : وأكثر ما يكون ذلك لوقوع المنازعة في الشيء قبل إحكامه وجمع حواشيه وأطرافه [10] .

وأما العدل فهو الطريق إلى اعتدال أخلاق المتحاورين بين طرفي الإفراط والتفريط ، وهو الحامل لهم على قبول الحق من الخصم ، بل من العدو المبين ! !

لقد روى أبو هريرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- وكله بحفظ زكاة رمضان ، فأتاه آت فجعل يحثو من الطعام ، فأمسك به ثم خلى سبيله ، ثم عاد الثانية والثالثة ، إلى أن قال في الثالثة : دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها ، قال : قلت : ما هن ؟ ، قال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [البقرة : 255] حتى تختم الآية ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح . فلما أخبر بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له : أما إنه قد صدقك وهو كذوب ، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟، قال : لا ، قال : ذاك شيطان [11] .

فهذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يمتنع من قبول الحق من أعدى أعدائه ، بل ممن يعلم أنه كثير الكذب .. وذاك غاية العدل .

إن طريق الوصول إلى الحق عبر الحوار هو الاتصاف بالعدل والعلم وحسن القصد ، وأما الجهل والظلم وسوء القصد فهو الطريق إلى التنازع والفرقة والقطيعة بين أهل المنهج الواحد ، بل بين ذوي الرحم .

ولا تزال قلة الإنصاف قاطعةً بين الأنام وإن كانوا ذوي رحم

7- التحاور العملي :

المتأمل في حواراتنا يجد أنها تحوي في أكثرها هوة كبيرة بين ما نتحاور له وما يترتب عليه من أعمال في الواقع .. وهذه كارثة .. لأن الحوار يجب أن يكون حول ما ينبني عليه عمل وفيما ترجى من ورائه مصلحة أو منفعة ، أما عدا ذلك : فالخوض فيه : خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي في الكتاب أوالسنة أو عمل سلف الأمة .

فأما الكتاب فآيات كثيرة ؛ منها : قوله (تعالى) : ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ [البقرة : 189] حيث جاء الجواب بما تعلق به العمل ، مع الإعراض التام عما قصده السائل من السؤال عن الهلال من كونه يبدو في أول الشهر دقيقاً كالخيط ، ثم يمتلئ حتى يصير بدراً ، ثم يعود إلى حالته الأولى .

وأما السنة فأحاديث كثيرة ؛ منها : (أن رجلاً سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- : متى الساعة ؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : وما أعددت لها ؟ فكأن الرجل استكان ثم قال : يا رسول الله ، ما أعددت لها كبير صيام ولا صلاة ولا صدقة ، ولكني أحب الله ورسوله . قال -صلى الله عليه وسلم- : أنت مع من أحببت [12]) [13] .

وأما عمل السلف الصالح فكثير أيضاً ، نذكر منه : خبر عمر بن الخطاب مع صبيغ بن عسل الذي كان يسأل عن متشابه القرآن ، فقال عمر : سبيل محدثة أي : بدعة جديدة ثم أرسل إلى رطائب من جريدة نخل فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة أي : قرحة ثم تركه حتى برئ ثم عاد له ، ثم تركه حتى برئ فدعا به ليعود ، فقال صبيغ : إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً ، وإن كنت تريد أن تداويني ، فقد والله برئت ، فأذن له عمر أن يذهب إلى أرضه .

إن تحاورنا يجب أن يكون هو الخطوة التمهيدية الأولى في طريق أعمالنا المشتركة التي نتعاون على إتمامها .. ولذلك : فإنه من الضروري أن نتعرف قبل التحاور على الأهداف العملية للحوار ، ونتبين ما هي الدوّامات الفكرية الطارئة والمنعطفات النظرية العارضة التي قد تلفتنا عن أهدافنا العملية لتنحرف بحواراتنا إلى أمور نظرية شكلية ليس لها أدنى تأثير في مسيرة العمل ، ولا يترتب عليها إلا استنفاذ طاقاتنا في غير طائل وبغير ثمرة .

وثمة ضوابط أخرى للحوار لا يسعنا الوقوف عندها تفصيلاً حتى لا نخل بأحد ضوابط الحوار وقواعده الضرورية ، وهي :

8- الحجة الرأسية :

الحوار الناجح هو حوار يخلو من الإطالة الزائدة عن الحد ، التي تُحَوّل الحوار إلى خطبة يتشدق فيها كل طرف من أطراف الحوار ويتفاصح بكثرة الكلام ، بل وغرابته أحياناً ! ! ، وهو ما كرهه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقوله : .. إن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون ، قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون ؟ ، قال : المتكبرون ، والثرثار : كثير الكلام تكلفاً ، والمتشدق : المتطاول على الناس بكلامه ، ويتكلم بملء فيه تفاصحاً وتعظيماً لكلامه ، والمتفيهق : أصله من الفهق ، وهو الامتلاء ، وهو الذي يملأ فيه بالكلام ، ويتوسع فيه ، ويغرب به تكبراً وارتفاعاً ، وإظهاراً للفضيلة على غيره [14] .

إن الإطالة والتكرار والإسهاب وهو ما نطلق عليه الحجة الأفقية لا ينتج عنه إلا دفن الفكرة الرئيسة للحوار وسط هذا الكم الكبير من الكلام ، ومن ثم : عدم قدرة الآخر على اكتشاف ما نقصد فضلاً عن فهمه وتدبره ؟ !

وإذن : فالمحاور العاقل هو من يحاول الوصول إلى هدف الحوار من أقرب طريق ، ولا يضيع وقته ووقت الآخر في تكرار الكلام والإسهاب في المقدمات التي لا فائدة فيها ، بل يقتصر في الألفاظ والكلمات على قدر الحاجة ويوضح فكرته بأقرب عبارة وأوجز لفظ ، وهو ما نطلق عليه الحجة الرأسية حيث يذكر المحاور فكرته الرئيسة ، ثم ينتقل بعد ذلك لتدعيمها بالأدلة ، في إجمال غير مخل ، وتفصيل غير ممل .

إن من فقه الحوار وذكاء المتحاورين : أن يتحرزا عن إطالة الكلام في غير فائدة ، وعن اختصاره اختصاراً يخل بفهم المقصود منه [15] ، وأن يحققا التوازن الدقيق بين جفاف الحوار بسبب قلة الأدلة أو غموضها ، وبين غرق الحوار بسبب الإسهاب والتكرار غير المفيد .. وللحديث بقية ، والله من وراء القصد .

(1) ابن هشام : السيرة النبوية ، ج1 ص314 .
(2) ديل كارنيجي : كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس ، ص92 بتصرف .
(3) ابن القيم : مدارج اسالكين ، ج3 ص545 .
(4) أخرجه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب في حسن الخلق ، ح/4800 ، قال الألباني : لكن للحديث شواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن ، السلسلة الصحيحة ، ح/273 ص492 .
(5) محمد أبو زهرة : أبو حنيفة .
(6) بكر بن عبد الله أبو زيد : الرد على المخالف ، ص60 .
(7) شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج4 ص397 .
(8) البخاري ، كتاب البيوع ، باب إذا بيّن البيّعان .
(9) مقدمة ابن ماجه ، ح/10 ، مسند أحمد ، ج2 ص178 .
(10) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص43 .
(11) البخاري ، كتاب بدء الخلق ، ج4 ص92 .
(12) البخاري ، كتاب الأدب ، ح/295 .
(13) انظر الموافقات ، ج1 ص46 .
(14) النووي : رياض الصالحين ، ص289 .
(15) الشنقيطي : آداب البحث والمناظرة ، ص76 .

من حصاد التجربة

من تجربتي مع النصرانية
اكتشفت تناقضاتها وزيفها

مسعود النرواجو أديوجو

الكاتب كان قسيساً نصرانياً في نيجيريا ، ولما أراد الله له الهداية اطلع على بعض الكتب الإسلامية التي رأى فيها معالم دين الإسلام الحق فعاد إلى دينه الأساس، وها هو ذا يوضح تجربته مع النصرانية وكيف اكتشف تناقضاتها وزيفها فأعلن إسلامه بكل جرأة متحدياً النصارى كلهم لو أرادوا مناقشته .

- البيان -

أرى من الحق عليّ في البداية أن أقرر حقيقة مهمة ؛ هي أنني وُلدت مسلماً ، ولكني تنصرت فيما بعد معتقداً أن النصرانية هي الدين الحق كما يزعم المروجون الغربيون من أصحاب الدعاية التنصيرية ، ولكني بعد اعتناقي لذلك الدين اكتشفت بعد مضي اثني عشر عاماً أنني قد انضممت إلى مجموعة من المزيفين والمشوشين، والعابدين للأصنام من الدرجة الأولى .

وبعد التعثر في الظلام لسنوات عديدة للبحث عن الحقيقة هنا وهناك عبر الاطلاع على كل العلوم السرية ، علوم السحر والتنجيم ، التصوف ، علوم الأسرار وما يسمى بالـ كابالا ، بعد هذا كله قد قررت أن أقوم ببحث مستقل عن الإسلام والمسيحية ، ولقد قررت بتصميم عميق أن أتحرى الصدق ، وأن يكون رائدي هو الحق والحق فقط .

ولقد تجشمت الصعاب في دراسة ما يسمونه (الكتاب المقدس) ! صفحة صفحة، ولقد كانت دهشتي عظيمة عندما اكتشفت وعرفت أن فيه آثاراً من الإسلام أكثر مما فيه من النصرانية ، ولقد اكتشفت أيضاً مما زاد حنقي وغضبي أن ما يُدعى بالكتاب المقدس من سفر التكوين إلى آخر سفر يحوي عدداً من التناقضات الفاضحة وأسساً تحمل على اقتراف كثير من أنواع الجرائم ، ولذلك أرى أنه من السخف تسميته كتاباً مقدساً في شكله الحالي .

أطفئ مصباح عقلك واعتقد :

هذا هو حال النصارى ، فالمعضلة والمشكلة الأساسية مع النصراني المعاصر أنه لا يكترث بالاطلاع على كتابه المقدس ! وأنه لا يدرسه كما فعلتُ لكي يصل إلى الحقيقة ، ولو أنه قد فعل ذلك أعني لو قام أي نصراني ممن ولد وعاش في هذا

الدين بقراءة كتابه المقدس قراءة خالصة لمعرفة الحق ، قراءة ناقدة ببصيرة فسوف يكتشف ويا لحزنه وشجنه أن دينه بحاجة إلى أن يعيد التفكير فيه كثيراً ؛ فالمسيح (عليه السلام) لا علاقة له بما آلت إليه النصرانية ، وسيكتشف أنه حتى اسم الكتاب المقدس نفسه (Bible) لا ذكر له في الكتاب المقدس ، فهي كلمة مخترعة .. كما أن أساس الاحتفال بميلاد المسيح المسمى بـ (عيد الكرسماس) وعيد الفصح والتثليث (Trinity) لا وجود لكل ذلك في كتابهم المقدس .

موقف لا ينسى :

وعندما كنت أقوم بالبحث طلباً للحقيقة قمت ذات مرة بزيارة إحدى المكتبات الإسلامية في فينسبري بارك في لندن وكان ذلك في عام 1985م حيث اشتريت كتاباً يسمى حياة محمد [*] لمؤلفه د . محمد حسين هيكل ، وعند قراءتي للكتاب واستيعابه وتفهم معانيه برز توجهي نحو الإسلام ، وأصبحت أقرأ الكتب الإسلامية الأخرى لعلماء المسلمين من أمثال : سيد قطب ، وأبي الأعلى المودودي ، وأحمد ديدات .

ولقد وجدتني والحمد لله مؤمناً برسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- عندما قرأت نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم بالإنجليزية لعبد الله يوسف علي ، وعند قراءتي للقرآن وجدت نفسي مغموراً بالنور التام نور الإسلام ، ولم أضِع وقتاً في حث الخطى نحو الرجوع إلى الإسلام ، لأبدأ حياتي الإسلامية بنظافة روحية ، أنا وكل أفراد أسرتي ، ومنذ ذلك الوقت كنت أقول وبصوت جهوري وعلى رؤوس الأشهاد علناً : إن القرآن هو الوثيقة الوحيدة التي تشتمل على الحق المنزل من عند الله التي مازالت صافية طاهرة باقية على أصلها وصفائها منذ أن أوحى الله (تعالى) إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى يومنا هذا ، وسيظل كذلك إلى يوم الدين .

والقرآن في ذلك لا يشبه الكتاب المقدس عند النصارى الذي كان عرضة لتباين وجهات النظر والتنقيح الدوري وتلاعب رجال الكنيسة به .

آلاف الأخطاء في كتابهم المقدس :

وكما أشرت سابقاً فإن في الكتاب المقدس آلاف الأخطاء التي تشوش على النصارى واليهود على السواء عقيدتهم ، ومع ذلك فهم أي : النصارى يروجون وينشرون الأكاذيب ويشيعون المتناقضات الفاسدة ليضللوا البسطاء ويبعدوهم عن الرسالة الحقة رسالة الله القرآن العظيم ؛ فلا عجب أن يقول الله (تبارك وتعالى) :

﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم ، فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ [البقرة : 113] .

أريد أن أذكر هنا دون أدنى تناقض : أن الإسلام دين العدل والسلام والحق ، هذا هو ما جاء به هذا الدين ، فالإسلام لا يوازيه ولا يساويه أي دين آخر .

تسبيح الله بين النصرانية والإسلام :

ويمكن أن يظهر الانتظام والاتساق في الإسلام في مثال واحد : في كلمة الله أكبر ، ليست هذه عبارة تقال في أثناء العبادة في الصلاة ، وإنما لكل نعمة من النعم، وفي كل حادثة أو أمر سواءً أكان ذلك الأمر خيراً أم شراً توجد له آثار مروية يستطيع المسلم أن يثني بها على عظمة الله (تعالى) ويذكر قدرته ورحمته في عبارات مثل : لا إله إلا الله ، الله أكبر ، سبحان الله ، وفي كل موقف يجد المسلم أمامه من الأذكار ما يرجع إليه يعظم الله بها ويسبحه ، وهناك أذكار كثيرة منها : الحمد لله ، ما شاء الله ، أستغفر الله وكل هذا من العبارات الجميلة المشتركة بين جميع المسلمين لتمجيد الله وتسبيحه وتحميده في جميع الظروف والأحوال .

أما في النصرانية ، فإنني يمكنني القول بكل وضوح على ضوء الأدلة الواضحة ، على الرغم من أنهم جميعاً يدّعون تسبيح الله وتحميده بطريقة أو بأخرى: إنه لا توجد طريقة واحدة مشتركة منظمة أو أنموذج يحتذى كما هو الحال في الإسلام سواءً أكان ذلك من حيث العبارات التي تقال لكل ظرف وحالة ، أو من حيث المناسبات نفسها ، إلا عبارة واحدة هي : هلولويا أو عبارة آمين ، ولذلك فإن ممارستهم للشعائر تختلف وتأخذ مناحي مختلفة ، فمن التصفيق إلى ذرف الدموع إلى الضرب على الطبول والرقص .. ! !

ومن المهم أن نذكر هنا أن أغلبية النصارى يفضلون أن يحمدوا المسيح ! بدلاً من أن يحمدوا الله بالإضافة إلى الإكثار من حمد الثالوث المتوهم ؛ أي : ادعاء أن الثلاثة في واحد تساوي إلهاً واحداً ؛ حيث يقولون : المجد للآب والابن وروح القدس ! ولا شك فإن مبدأ التثليث يمثل قمة الغباء والتشويش الروحي والاضطراب في المسيحية .

أما بالنسبة لأسلوب العبادة : فإني أقول بكل وضوح وعلناً : إن الإسلام فقط هو الدين الذي يعترف بأن العبادة هي المظهر الأساس للدين ؛ لذا : فإن هناك أركاناً خمسة للإسلام ، فالصلاة مثلاً قد ذكرت بكل تفصيل ؛ متى تقام في أوقاتها يومياً ، حيث يقف المسلمون بكل تواضع وانكسار لله ، وكيف يؤدونها على هيئة يلزم منها الاستسلام لله (تعالى) .

وقد ذكر القرآن الوضوء شرطاً للصلاة حيث جعل الصلاة نفسها فرضاً على جميع المسلمين ، بالإضافة إلى ذلك : فإن صلاة الجماعة ميزة أخرى إضافة على العبادة الفردية .

فلا يوجد في جميع أنحاء العالم أي صوت يخرج على إجماع المسلمين على العبادة بالشكل المذكور .

وهذا عكس النصرانية تماماً ، إذ إنه لا دليل في كتابهم المقدس يصف شكلاً معيناً من العبادات يكون نموذجاً يتبعه جميع النصارى ، ولا ينبغي أن يدهش القارئ هذا الأمر إذ إن المسيح (عليه السلام) نفسه لم يدع إلى هذه النصرانية المحرفة (في كل سني دعوته) . بل ومن السهل أن نثبت أن رسل الله جميعاً الذين أرسلوا قبل الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- بما فيهم المسيح (عليه السلام) كانوا مسلمين كما وصفهم القرآن الكريم [البقرة : 132 ، 133 آل عمران : 19 ، 85 المائدة : 111 ، ...] ، بل إن هناك حالات ذكر فيها القرآن أن هؤلاء الرسل قد سجدوا لله في ذل وخضوع .

وما أريد ذكره هو أن الإسلام يلزم معتنقيه بالإيمان بكلمة التوحيد لا إله إلا الله، وبالإحساس بالمسؤولية والقيام بالواجبات مثل : الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة ، والصوم في شهر رمضان ، وإعطاء الزكاة عندما يحين وقتها في كل عام ، والحج إلى بيت الله لمن استطاع إليه سبيلا .

أما النصرانية فهي اعتناق هش ، فلما كان اتصالها بالله (تعالى) فضفاضاً فقد أصبحت ممارسة لبعض من يمكن أن نصفهم بأنهم إما كسالى جداً فلا يقومون بالعبادة الجادة والصلاة الجادة في أمورالدين ، أو أن يكونوا من أولئك المتكبرين الذين يعتقدون أنهم أكبر من أن يعبدوا الله ولكنهم في نفس الوقت يخجلون أن ينسبوا إلى الإلحاد ، ولذلك فإن أسهل الأمور أن ينتسبوا إلى النصرانية ، لأننا نرى أن مثل هذا الانتساب لا يكلفهم أي مسؤولية ، وحتى الذهاب إلى الكنيسة ليس عملاً إلزامياً للمسيحيين .

من واقع تجربتي

استطيع أن أدعي أن 90% من المسلمين الذين يتحولون إلى المسيحية هم من

أولئك المشوشين الذين يرون في الانضباط بالشعائر التعبدية والنظام الإسلامي عبئاً عليهم ولذلك فهم يتخفون تحت ظل النصرانية التي لا تطلب منهم أي شيء بالمقابل .

وعلى الرغم من تعاليم الكتاب المقدس فإن النصارى في جميع أنحاء العالم غير مجمعين على موقف موحد تجاه الخمر شرب المسكرات ، وكذلك القمار لعب الميسر ، والفوضى الجنسية ، والربا .. الخ .

وأستطيع أن أقول دون تردد إن ما يعانيه هؤلاء القوم هو نقص الإيمان بالله ، لأنهم لو كانوا مؤمنين حقاً لعلموا أنه ما من تضحية تعظم في عين المؤمن إزاء رضوان الله .

أستطيع أن أقول بثقة : إن النصرانية دين تشويش وإرباك عقدي ، فيمكن أن نقول : إن موقف النصارى من المسلمين يتلخص في أنه : إذا لم تستطع أن تقنع المسلم بالردة عن الإسلام فشوش عليه عقيدته ، ولذلك : فهم ينشرون الأضاليل والأكاذيب ، وذلك إصراراً منهم في التمرد على الحق المطلق الخالد في رسالة الله ، فلا عجب أن يقول الله (تعالى) بشأنهم : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾ [المؤمنون : 71] .

(*) هناك على كتاب حياة محمد المذكور ملاحظات ومآخذ تطرق لها بعض العلماء والكتاب ، انظر على سبيل المثال كتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين للشيخ مصطفى صبري
- البيان - .

نص شعري

صرخة جروزني

د . عدنان علي رضا النحوي

شِيشَانُ ! صُبّي دَماً فِي الأضِ واغْتَسِلي ... النُّورِ مِنْه ، وضمّي زَهْوَةَ الأمَلِ
ورجّعي مِنَ رُبَى جروزني مَلاحِمَها ... فوّارةً بِدَمٍ لِله مُشْتَعِلِ
مِنَ كُلّ أرْوعَ سَبّاق بوثبتهِ ... إلى الشهادة خَطّافٍ على عَجَلِ
تطلّعتَ كُلّ دَارٍ مِنَ مَشَارِقِها ... إليْكِ بيْنَ دَواعِي الشّوْقِ والوَجَلِ
مَاذا رَأوا ؟ ! عَجَباً ! هوْلاً تُفَجّرُهُ ... عِصَابَةٌ مِنَ وُحُوشِ الأرْضِ الهَمَلِ
هَبّوا إليْكِ بأرتالٍ مُدَعّمَةٍ ... مِثْلِ الجراد إذا أوْفَى على أَسَلِ [1]
جُنّوا فَهَبّوا بأحْقَادٍ مُرَوّعةٍ ، ... بالمكرِ بالكيدِ مِنَ غَدْرٍ ومِنَ خَتلِ
وأطبَقُوا وَلَيَالي الموْتِ فاغِرةٌ ... فَاهاً على ومضاتِ البرْقِ والشّعَل
وأقبلوا وجُيُوشٌ مِنْهُمُ فَزِعتْ ... لمّا رأوا عَزْمَة الإيمَانِ لم تَزُلِ
رَامُوا الفِرَارَ فما أنْجاهُمُ أملٌ ... وخَلْفَهُمً صَرَخَاتُ القَهْرِ والعَذَلِ
مِنَ مُجْرِمٍ ظالم عَاتٍ تَمُدّ لهُ ... أهـواؤه ظُلُماتِ الشّرّ والزّللِ
يُمدّهم كلما ارتَدّوا على جَزَعٍ ... بِعُصْبَةٍ مِنَ قَطِيعِ الأعْبُدِ الذّللِ
ظَنّوا القِتالَ سُوَيْعَاتٍ فَهالَهُمُ ... أن القِتالَ طويلُ العَهْدِ والأمَلِ
طَارَتَ مِنَ الهَلَعِ القتّال أفْئدَةٌ ... وفُزّعَتَ مِنَ دنوّ الموتِ والأجلِ
فَلمً تَعُدً غيرَ آلاتٍ تُحَرّكُها ... هُوجُ العَواصِفِ مِنَ مَكْرٍ ومِنَ دَغَلِ
مِنَ كُلّ دَبّابَة تَرْمي بَوارِجُها ... نَاراً تأجّجُ في قَصْرٍ وفي نُزُلِ
تَظلّ تَزْحَفُ لا تَلْقَى سِوَى جُدُرٍ ... أو مَسْكَنٍ فَرَمَتَ بالوابِلِ الهَطِلِ
حَتّى إذا انْطَلَقَتَ في زَهْوِها انْفَجَرتَ ... بِرَمْيةٍ مِنَ شَدِيد البَأس مُشْتَمِلِ

كَأنّما الأرْضُ شُقّتَ عَنَ فَوارِسها فَغَيّبُوها بِلَفْحِ النّارِ والظُلَلِ
يَهْوِي الجِدَارُ وأبْطالُ الحِمَى صَعِدُوا نُوراً تَلألأ في أفْقٍ وفي سُبُلِ
يا للنداء عَلا ! دوّى بِسَاحَتِهِمْ اللهِ أكْبَرُ ، مِنَ سَهْلٍ ومن قُلَلِ
لِله دَرّ رِجَالٍ يَنْسُجُونَ دَماً أكْفانَهُمَ بِحَنِينِ البِشْرِ والجذَلِ
يَسْتَقْبِلُونَ جِنَانَ الخُلْدِ فَانْفَرَجَتْ أبوابُها فَرَحاً بالمؤمِنِ البَطَلِ
أوَ كُلّ حَوّامةٍ في الجوّ قاصِفَةٍ تَنْقَضّ بِالموْتِ أو بالحادِثِ الجَللِ
جُنّتَ قَذائِفها أو جُنّ قاذِفُها مَوّارةً بيْنَ وَادٍ أو على جَبَلِ
تُلقِي اللّهِيبَ جَحِيماً أو تَدُكّ بِهِ عَمائِراً أو تُسوّي شَاهِقَ القُلَلِ
وتَتْرُك المؤمنين الصّابرين على دَمٍ تَوهّج فِي السّاحَاتِ مُنْهمِلِ
كَأنّما الأرْضُ كَانَتَ قَبْلُ عَاطِلةً فوُشّيَت بِدِمَاء الفَارِسِ البَطَلِ
كأنّهمَ وبِسَاطُ الأرْضِ مُنْتَشِرٌ لآلِئ زَيّنَتَ مَوْشِيّةَ الحُلَلِ
قَصْرَ الرئاسَةِ ! فاهْزأ مِن صَواعِقِهمْ ورُدّها فَوْقَهُمَ مَوْصُولَةُ الوَهَلِ
نَهضْتَ كالقَلْعَةِ الشّماءَ فانْقَلبُوا بِخِزْيِهمَ وجُذُورُ الحَقّ لَمَ تُنَلَ
هُنَا الحَضَارَةُ أعْمَاقُ الحَيَاةِ بِهَا بَيْنَ الجَماجِمِ والأشْلاَءِ والطّلَلِ
هَذي حَضَارَةً إنْسانٍ رِسَالتُه إلى الدّنا عَزْمَةُ التَوْحِيد والرسُلِ
وخَاتمِ الأنْبيَاءِ المرسَلين دَعا إلى هُدًى صَادِقٍ بالوحي مكتملِ
يُزْوَى الفَسادُ بِعَزْمٍ غَيرِ مُنْهَزِمٍ ويُرْتَقى لِعُلاً بالحق مُتّصِلِ
رِسالة اللهِ للإنْسَانِ يَحْمِلُها رِجالُها صُدُقاً فالحَقَ أو اعْتَزِلِ
تبيّن الرّشْدُ ! منَ يَتْرُكهُ يُلقَ به على لهيبٍ تلظّى أو على شُعَلِ
أولئك المجرِمُونَ الظّالمون بَغَوا وأفْسَدُوا الأرضفي ظلمٍ وفي نَكَلِ[2]
أولئك المجْرمون استكبروا وعَتَوا صَاغوا الحضارة من زَيْغٍ ومن مِيَلِ
أيْنَ الحَضَارَةُ ؟ ! لا عَدْلٌ ولا شَرفٌ مِنَ فَاجِرٍ ساقِطٍ أو فَاجرٍ ثَمِلِ
يُورون في الأرض من أهـوائهم شعلاً ومن جرائمهم وقداً من الدّخَل [3]

---

(1) أوفى : أشرف وأتي ، الأسل : الرماح ، النبل ، نبات ذو عيدان لا ورق له ، شوك النخل .
(2) النكل : من التنكيل .
(3) الدخل : ما داخلَ الجسم أو العقل من الفساد والغرور والمكر والخديعة .

خبر

نمى إلى علم المجلة وهي تحت الطبع وفاة الأديب والروائي الإسلامي المعروف / نجيب الكيلاني بعد معاناة مع المرض نسأل الله أن يغفر له وأن يعفو عنه ، وأنيسكنه فسيح جناته ، وأن يلهم أهله ومحبيه الصبر والاحتساب .
- البيان -

مجلة البيان
إهداء إلى مكتبة مشكاة الإسلامية

التربية بالحدث

عبد العزيز الحويطان

إن التربية بالحدث تفعل فعلها أكثر مما لو كانت كلاماً منمقاً مرصوصاً بأسلوب بديع ، والمتأمل لسير الأوائل من هذه الأمة يتعجب من هذه النفسية العجيبة المعطاءة لأبناء هذا الدين التي لا تكل ولا تمل مهما كانت الظروف والأحوال ، سواء أكانت أيام مكة أو بعد الهجرة تقدم وتبذل ، وقد تكون محاولات ينجح بعضها ولا يحالف التوفيق البعض الآخر ، ولكنها عطاء لله : وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه .

من أولئك النفر الذين بذلوا أنفسهم : عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، فهو عمر الحريص على دخول الناس في الإسلام والتمسك به ، وتثبيت المؤمنين المستضعفين حدثاء العهد بالإسلام ، وهو عمر لا ينتظر الأوامر ولا يقف عند مرحلة التفكير ، بل يسارع إلى التنفيذ مباشرة ، فما كان يعرف التردد في مثل هذه الأمور ، ... لننظر ماذا فعل أثناء هجرته وبعدها داعياً إلى الله (سبحانه وتعالى) ، متبعاً عدة طرق ووسائل ، كان همّه فيها هو هداية الناس إلى الإسلام وثباتهم عليه .

تذكر كتب السير بإسناد حسن [1] قصة هجرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، أنه قال : اتعدت لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعياش ابن أبي ربيعة وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التَنَاضُبَ [2] من أضَاةِ بني غفار فوق سَرِف ، وقلنا : أينا لا يصبح عندها فقد حُبس ، فليمض صاحباه .

قال : فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب ، وحبس عنها هشام، وفتن فافتتن .

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقباء ، وخرج أبو جهل ابن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما حتى قدما علينا المدينة ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة فكلماه ، وقالا : إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك ، فرقّ لها .

فقلت له : يا عياش إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ..

فقال : أبر قسم أمي ، ولي هناك مال فآخذه .

فقلت : والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً ، فلك نصف مالي ولا تذهب معهما .

فأبى عليّ إلا أن يخرج معهما .

فلما أبى إلا ذلك قلت : أما إذا قد فعلت ما فعلت ؛ فخذ ناقتي هذه فإنها ناقة نجيبة ذلول ، فالزم ظهرها ، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها ، فخرج عليها معهما .

حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل : والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا ، أفلا تعقبني على ناقتك هذه ؟

قال : بلى .

قال : فأناخ وأناخ ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عدوا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلا به مكة وفَتَنَاه فافتتن .

قال : فكنا نقول : ما الله بقابل ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة ، قوم عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم .

قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم ، فلما قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة أنزل الله (تعالى) فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم : قل يا عبادي

الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون [الزمر : 53-54] .

قال عمر بن الخطاب : فكتبتها بيدي في صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام ابن العاصي .

قال : فقال هشام : فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى ، أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها ، حتى قلت : اللهم فهمنيها .

قال : فألقى الله (تعالى) في قلبي أنها إنما أنزلت فيما كنا نقول لأنفسنا ويقال فينا .

قال : فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله -صلى الله عليه وسلم- . أ . هـ .

هذه هي القصة ، وهذه هي جهود الفاروق (رضي الله عنه) في ذلك الوقت ، وإن المرء وهو يمر عليها ليتعجب أشد العجب من أمرين : أحدهما : حرص أبي جهل ، ذلك الذي يسافر ، ويقدم ويؤخر ، ويبذل ، ويستخدم الأساليب الملتوية باسم البر بالوالدين وباسم الرحم كونه قريباً لعياش بن أبي ربيعة ، بل ويصطحب الحارث بن هشام إمعاناً في القربى ، غير مكترث بنجاح النتائج من عدمها ، كل ذلك في سبيل الشيطان والصد عن دين الله ، ثم لا يقتصر على ذلك ، وبدلاً من دخول عياش إلى مكة على ناقته مكرماً معززاً نظراً لبره بأمه ، فإنهما استخدما خدعة ماكرة ؛ حيث أوثقاه وقيداه حتى يدخل مكة ذليلاً حقيراً كناية عن ذلة من اتبع محمداً ، وإنذاراً لمن سولت له نفسه من قريش سلوك طريق عياش ، تماماً كما تُستخدم بعض الأساليب الشبيهة بذلك ضد الدعاة إلى الله اليوم .

وننتقل إلى الجانب الآخر لننظر إلى ذلك المؤمن الذي يأبى أن يهاجر كما يهاجر غيره ، فنراه يختار صحبة رجلين ، قد يكون اختارهما على غيرهما لأمر أراده من تقوية عزيمتهما وإنقاذهما مما هما فيه من الفتنة ، وحيث قد وفق عياش نجد أن هشاماً لم يستطع اللحاق بهما ، ولم يتوقف الأمر على ذلك ، بل نجد فصلاً آخر يقدمه عمر ؛ ألا وهو محاولته إقناع عياش بن أبي ربيعة بعدم الذهاب مع أبي جهل وكأنه عرف نية أبي جهل المبيتة ، فهو هنا يعرض عليه نصف ماله ، لا سلفة وإنما عطاء ، كل ذلك ليثبته على الإسلام ، وعندما لم تنجح هذه المحاولات عرض عليه ناقته وهي ذلول نجيبة من أطايب النوق آنذاك حتى ينجو لو رابه أمر، ولكن ابن أبي ربيعة لم يعِ هذه المحاولات .

وهل توقف الأمر عند هذا الحد ؟ ، لا ؛ بل تعدى إلى الدعوة بالمراسلة ، فهو لم ينس صاحبه الذي حبس ليفتن في دينه ، فنجد أن عمراً يسلك طريقة قد غفل عنها الكثير من الدعاة في هذا الزمن زمن التقدم المادي والاتصال السريع ألا وهي المراسلة ، فأخذ صحيفة كتب فيها هذه الآيات .. ولعل السؤال يبرز هنا : لماذا يرسل عمر هذه الصحيفة لشخص ربما فتن في دينه ؟ وهل سيفهم هشام بن العاصي الصحيفة ؟ وعلى فرض فهمها ، هل سيرجع إلى الإسلام كما كان ؟ وعلى فرض ذلك ، هل سيهاجر إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- وصحبه ؟ هذه استفهامات العاجزين القاعدين ، الذين يديرون أمورهم بالنيات فقط .. وبالقول لا بالعمل ، ولكن عمر يلقن هؤلاء هذا الدرس العظيم وما على الرسول إلا البلاغ وقد نجح البلاغ هنا بإذن الله وتحققت جميع هذه الاستفهامات ، ونفع الله بهذه الصحيفة ، وهاجر هشام بن العاصي إلى المدينة على يدي عمر (رضي الله عنه) .

إن جيلاً فيه أناس بنفسية عمر لهو جيل عامل نشيط ، وهكذا فلنكن مثل عمر وبمثل عزمه وحرصه على هذا الدين ، إننا إذا كنا كذلك فسنفلح بإذن الله ، وسيفتح

الله على أيدينا ما هو مغلق ، وينفع الله بنا البلاد والعباد ، وقبل ذلك أنفسنا قبل غيرنا .

(1) سند القصة حسن ، وقد أخرجها الحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، وفي السند ابن إسحاق ، وقد صرح هنا بالتحديث .
(2) التناضب وأضاة بني غفار : موضع واحد ، الأضاة : أرض تمسك الماء فيتكون فيها الطين ، والتناضب : شجرات في هذه الأضاة ، وهي لا زالت مشاهدة على جانب وادي سرف الشمالي .

المسلمون والعالم

تطبيع .. ضد الطبع والتطبع ! !
قراءة في نموذج تطبيعي

د .عبد الله عمر سلطان

الصخب الإعلامي والضجيج الصحفي الذي رافق توقيع اتفاق أوسلو قبل أقل من عامين أصبح من الماضي البعيد ، أما الوعود المنهمرة بتحويل غزة وأريحا إلى سنغافورة أخرى و هونج كونج الشرق الأوسط فقد صارت من النكات السمجةوالمُلح الباردة .

ليس السؤال لماذا تبخر اتفاق السلام المزعوم ؟ ! ولماذا ثبت للمرة الألف أن الموقعين قد خُدعوا من قِبَل قوم لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة ؟ .. وليس الغريب أن تتوالى الأحداث كقطع الليل الكالح الذي ينشر بؤسه منذ أن وُقع الاتفاق حتى هذه اللحظة ، إنما الاستغراب في سرعة الانهيار وانتشار الحقيقة المرعبة بين المتابعين لهذا المسلسل البائس .

لقد ولّد الاتفاق منذ اللحظة الأولى إحساساً جماعياً بالكارثة ، لا سيما بين الذين كانوا ولا زالوا يزنون الأحداث بميزان القرآن والسنة ، ويستندون إلى التجربة التاريخية التي تدعم هذه النظرة التي تطل على الواقع من علٍ بينما المتاجرون بمبادئهم وأوطانهم يصرون على أن هذا الاتفاق هو الخطوة الأولى لعهدالاستقرار والرفاهية ! ! التي لم تطل أبداً .

لقد كان الصوت المعارض للتطبيع والتلميع لأعداء الأمس خافتاً في ذلك اليوم الأسود .. بينما كان الحِرباويون وسماسرة تسويق المرارة والهزيمة يعيشون أحلى ساعاتهم وأزهى عصورهم ، لقد زال الصراع بين اليهود والعرب واكتشفوا فجأة أنهم أصدقاء يرعاهم راعي البقر ويوردهم المواضع التي كان واضحاً أن فيها هلاك البعير العربي ونماء الخنزير الصهيوني .. ، خرج وقتها من يقول : لسنا فلسطينيين أكثر من أهل فلسطين ، وليس أمام العرب سوى المتاح من فتات الحلول المتعفنة .. وكأن المسألة مزايدة سياسية اعتادها أولئك الذين لبسوا مسوح القومية حيناً والناصرية دهراً ثم أصبحوا كيسنجريين أكثر من كيسنجرنفسه في النهاية .

الحقائق هكذا كانت ولا زالت لا تثبت أمامها الأباطيل ، والبصيرة الراشدة حتماً تنتصر على أهازيج المتصهينة ، حتى ولو كانت الأولى تقطن بين دفتي كتاب أصفر قديم بينما الثانية تبث على موجات الأثير أو تلوث الفضاء بدعايتها وكذبها .

هذا بالضبط ما حدث مع اتفاق السلام المزعوم ، هذا الاتفاق كان أكثر من مغالطة .. لقدكان فضيحة وطنية و جرفاً عقدياً سقط فيه أولئك المتعبون البائسون الذين أصروا على أن يئدوا القضية للتخلص من حملها ، بدلاً من تركها تعيش وتكبر وتجاهد رغم الآلام والصعاب والشوك المنثور ..

لقد كانت معارضة اتفاق السلام مبنية على خلفيات شتى ، لكن الصوت المسلم كان أنقى وأوضح وأشجى تلك الأصوات ، فإن عارض القوميون الاتفاق ... فلقد عارضوا التفاصيل وأيدوا جوهر الصلح والتطبيع بل والاندماج بالآخر :

الصهيوني .. ولئن حذّر بعض رفاقِ الزعيم فلأنهم رأوه وهو يصر على إلقاء نفسه وشعبه في حمى النار الإسرائيلية حيناً ، أو لأن الكرسي لم يتسع لهم وله .. ولئن زايدتً طهران وضجت فلأن الاتفاق ومعارضته مكسب للذين لم تجف أيديهم بعد من حبر اتفاق إيران كونترا ..

وكعادة العرب بدأ سباق الهرولة المريع نحو اليهود المغتصبين بشكل جماعي ما عدا بعض الاستثناءات ويلفت نظر المراقب نموذجان ، فالأول بلغ شأنه ، وانحصر دوره حالياً في ملاحقة المؤمنين من أبناء شعبه ، والتبجح بهذه البطولات الإسرائيلية مع أنه يُذل ويُهان من قبل اليهود ، حتى كأن الذي لا يعرف معنى العمالة والعبودية لا يحتاج إلا إلى رؤية هذا الزعيم ! وهو يلاحق أسياده من عاصمة إلى أخرى ومن معبر إلى مخبأ يخفي فيه وجهه وجرمه ..

أما اتفاق وادي عربة المخجل : فقد أصبح نموذجاً للتطبيع المفروض على الرقاب والإرهاب المبرمج لقبول الجرثومة الإسرائيلية بوصفها كائناً صحياً ومغذياً للجسد العربي البادي المرض والهزال .

إن كلمة تطبيع تأتي من كلمة طبيعي أو ما يعني بالإنجليزية Normal التي معناها : طبيعي ، أما جعل الوضع الشاذ طبيعياً فهو ما يعني بالإنجليزية Normalization ؛ فهل يعقل أن يصبح الطبيعي الفطري مفروضاً على الرقاب ؟ ! أو هل يمكن أن ينقلب الغاصب إلى صديق حميم والقاتل إلى أستاذ في علم الفضيلة ؟ ! أو اليهودي إلى أخ في العقيدة ؟ ! .

لقد كان من عوامل نجاح كشف عوار هذا التطبيع الأعرج أن الصوت المسلم قد خاطب الناس بما آمنوا به وصدقوه ووعوه ؛ خاطبهم بلغة سورة البقرة وآل عمران ، وأشار إلى أن يهود اليوم إنما هم إخوان القردة والخنازير في الأمس ، وأن القدس خير مثال على حقيقة الصراع وأفضل تلخيص للقضية المكلومة .

التطبيع في نموذجه الثالث كان الأسرع ، فبعد أن أفطر رابين على المائدة الرمضانية الرباعية ، وطمأنتنا إذاعات وصحف الزحف التطبيعي على أن شهيتة كانت ممتازة [1] ! ! ! جاء دور إخوانهم البرلمانيين الصهاينة ؛ فقد قامت طائرة خاصة بجلب 29 من النواب اليهود في ليلة رمضانية ، وقد وعدوا بأن يكون السلام مع دولة اليهود نموذجياً ! وقبلها بيوم : ألغي قانون أردني سابق يلغي عقوبة التجسس لحساب إسرائيل ! كما يلغي قانون حظر بيع العقارات للإسرائيليين ، ثم تلا ذلك تسريح ربع الجيش ، لأن إسرائيل أصبحت دولة غاية في التهذيب واللطف، وهي استراتيجياً لا تمثل خطراً ! ! ، فهي لاتفكر في امتلاك أسلحة نووية و كيماوية وجرثومية ! ! إنما همها الأوحد تنظيف الجو من خطر التلوث الأصولي الذي أعياهم جميعاً وأقض مضجعهم بلا استثناء ! !

لقد وصل شهر العسل هنا إلى حد أن يتصل رابين بكلنتون شخصياً حتى يلغي قرار تخفيض المساعدة الأمريكية للأردن من 400 مليون إلى 50 مليون دولار .

إن التطبيع الحكومي هوتطبيع فوقي بين حكومات لا تتمتع حتى في حالة اليهود بشعبية كاملة ، أما الخطر الحقيقي فهو التطبيع بين الشعوب والذي يُشهر هجمةً لابد للصوت المسلم أن يتصدى لها كما تصدى للاتفاقات الرسمية التي تعيش الآن في غرفة الإنعاش بالرغم من الكمية الهائلة من المغذيات والأدوية التي تحقن بها صباح مساء .

إن التطبيع الثقافي يرمي إلى زعزعة الثوابت العقدية ، وإلى إشاعة الفاحشة والتحلل والتعلق بالرموز اليهودية والنماذج الصهيونية أو تلك التي تسير في

ركابها .. لقد قامت إذاعة أردنية ببث بعض أغاني اليهود ثم تلا ذلك زيارة لفرقة أردنية مشبوهة ل (حيفا) من أجل إثبات تطور و اندماج الشعب الأردني المسلم باليهود كما زعموا .. لكن في المقابل قامت ردود فعل شعبية مضادة لهذه الشذوذات من ضمنها قيام سيدتين بتقديم قضايا إلى المحكمة ضد التطبيع وسماسرته .. فالشعوب تدرك أن لها دوراً في وقف نزيف الكرامة ، والمنطق الذي جرى بتسارع ملفت للنظر منذ المبادرة الساداتية ، وحتى الولائم الأخيرة ، ولذلك صرح الملك حسين بأن هذا السلام هو تكملة لما بدأه القادة العرب التاريخيون .. إن أولئك أنجبوا تطبيعاً بارداً ، إلا أن التوجه الأخير يكرس للتطبيع الذي يخالف الطبيعة والطبع والتطبع ! .

(1) نقلت هذا الخبر ثلاث صحف عربية ! ! .

المسلمون والعالم

الصهيونية واليهودية

د . محمد آمحزون

استقر تعريف الصهيونية في المصطلح السياسي على أنها : حركة يهودية دينية سياسية تهدف إلى إعادة مجد إسرائيل بإقامة دولة يهودية في فلسطين ، وهي تمزج بين السياسة والدين وتتخذ الدين ركيزة تقوم عليها الدعوة السياسية [1] .

كما جاء تعريفها بأنها : دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم ، وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين بواسطة الهجرة والغزو والعنف كحل للمسألة اليهودية [2] .

لقد تأثر العديد من المفكرين اليهود بالنزعة القومية العنصرية التوسعية التي سادت أوروبا في القرن التاسع عشر ، مثل هيرش كاليشر (1795-1874م) في كتابه البحث عن صهيون ، وموشي هس (1812-1875م) في كتابه روما والقدس، وليوبينسكر (1821-1891م) في كتابه التحرير الذاتي .

ثم بدأت الصهيونية تتغلغل وتنتشر أكثر بين اليهود منذ عام 1881م عندما اضطرت أعداد ضخمة منهم إلى النزوح عن روسيا على إثر المجازر التي تعرضوا لها بعد اغتيال القيصر الروسي ألكسندر الثاني ، وإلى قيام جمعيات أحباء صهيون التي طرحت مسألة استيطان اليهود لفلسطين وغزوها عن طريق الهجرة كاحتمال عملي ، كما درست إحياء اللغة العبرية لتصبح لغة غالبية اليهود عوضاً عن اليديشية ، وقد تمكنت حركة البيلو من إيصال عشرين مستعمراً يهودياً عام 1882م كانوا طلائع الهجرة الأولى إلى فلسطين ؛ وأوجدوا عدة مستعمرات صهيونية شكلت المراكز الأساسية للاستعمار الزراعي الصهيوني في المراحل اللاحقة [3] .

إلا أن أحد أعضاء جمعيات أحباء صهيون البارزين وهو آحاد هاعام ذهب إلى إعادة النظر في فكرة إقامة المستعمرات ، وأخذ يركز على ضرورة الحفاظ على القيم الروحية اليهودية ، وأكد بأن طريق وقف الانحلال الروحي اليهودي في نظره هو إقامة مركز روحي لليهودية في فلسطين يعيد لليهود حيويتهم ووحدتهم ويؤدي في النتيجة إلى تحقيق الحلم القومي اليهودي ، وسُميت صهيونيته بالصهيونية الروحية [4] .

وبادر أنصار آحاد هاعام لأجل هذا الغرض إلى تشكيل جمعية بني موسى ، وتتلمذ على يده عدد من المثقفين اليهود [5] .

وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر : اعتنق صحفي يهودي من فيينا هو تيودور هرتزل الفكرة الصهيونية على أثر موجة من العداء لليهود في أوروبا ، وقام

بتأليف كتاب حول المسألة اليهودية شرح فيه تصوره ووجهة نظره لحل المسألة اليهودية بعنوان الدولة اليهودية في عام 1895م [6] .

وبعد عامين من هذا التاريخ تمكن هرتزل من عقد المؤتمر الصهيوني الأول بحضور (204) من المندوبين اليهود يمثلون جمعيات صهيونية متناثرة في أرجاء مختلفة من العالم ، وتمخض هذا المؤتمر عن تحديد أهداف الحركة الصهيونية فيما عرف ببرنامج (بال) ، وإنشاء الأداة التنظيمية لتنفيذ هذا البرنامج ، وهي : المنظمة الصهيونية العالمية ، وقد حدد المؤتمر هدف الصهيونية على أنه خلق وطن لليهود في فلسطين بواسطة الهجرة وربط يهود العالم بهذا البرنامج [7] .

وتعتبر صهيونية هرتزل صهيونية سياسية لأنها حولت المشكلة اليهودية إلى مشكلة سياسية وأوجدت حركة منظمة محددة الأهداف والوسائل [8] .

أما الصهيونية الدينية فقد اتخذت شكلاً تنظيمياً عام 1902م بقيام حركة مزراحي تحت شعار أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة توراة إسرائيل ، وتحت شعار آخر التوراة والعمل ، ويرى هؤلاء أن اليهود أمة متميزة عن غيرها ، لأن الله في زعمهم هو الذي أسسها بنفسه ، وأن وحدة الوجود اليهودي تتمثل بالتحام اليهود والتوراة وفلسطين ، ذلك الالتحام الذي يفجر عبقرية اليهود ، ولحركة مزراحي هذه فروع في كل العالم ، ويتبعها الحزب الديني القومي والعديد من مزارع الكيبوتز و الموشاف والكثير من المدارس التلمودية [9] .

وظهرت تيارات صهيونية أخرى مثل الصهيونية التنقيحية ، ومن روادها : جابو تنسكي الذي عرف هو وأتباعه بالتشديد على أهمية بناء قوة عسكرية صهيونية كبيرة لغزو فلسطين وبناء الدولة اليهودية بالقوة ، ويمثل حزب (حيروت) اليميني بقيادة بيغن و شارون التيار التنقيحي داخل إسرائيل [10] .

ومن هذه التيارات : الصهيونية العملية التي كانت تطالب بالاعتماد على الجهود الذاتية اليهودية والمباشَرة ببناء الوطن القومي لليهود . وكان وايزمان و ابن غوريون أهم دعاة هذا الأسلوب [11] .

ومنها : الصهيونية العمومية التي تستند إلى المطالبة بالمصلحة القومية بصرف النظر عن الانتماء الطبقي ، وقد نشط أصحاب هذا الاتجاه في تجميع المال لتثبيت جهود الاستيطان اليهودي في فلسطين [12] .

ومنها كذلك : صهيونية الدياسبورا (الشتات) التي تتبنى الصهيونية الثقافية فيما يتعلق بالنظرة إلى إسرائيل على أساس أنها مركز اليهودية الثقافي أو الروحي [13] .

ومن هذه المدارس أيضاً : الصهيونية العمالية ، أو الاشتراكية ، ولعل أهم تيارات هذه المدرسة هي مدرسة جوردون التي ركزت على فكرة اقتحام فلسطين ، وركزت أيضاً على العمل باعتباره وسيلة من وسائل التخلص من عقد المنفى وصهر القومية اليهودية الجديدة [14] .

وجدير بالإشارة إلى أن العقيدة الصهيونية وأبعادها الدينية والتاريخية تشكل الخلفية النظرية وقاعدة الارتكاز اليهودي في إسرائيل ، بدءاً من الناحية التشريعية ؛ كقانون العودة (1950م) الذي يقضي بحق كل يهودي في الجنسية الإسرائيلية ، مروراً بالقول : إن فلسطين هي موطن يهود العالم باعتبار الأقدمية والاستمرارية التاريخية لمدة ألفي سنة ، وإن يهود اليوم يشكلون على هذا النحو قومية تمتد إلى آلاف السنين من التاريخ .

يقول الزعيم الصهيوني ديفيد بن جوريون : إن إسرائيل قد تكون أحدث دول العالم ، ولكن الشعب اليهودي له وجود عمره أربعة آلاف عام متتالية [15] .

ومن هنا : فإن توسع الكيان الإسرائيلي يجد تبريره الجاهز في مفهوم إسرائيل

الكبرى أو إسرائيل التاريخية في شعار من الفرات إلى النيل .
ومما لا شك فيه أن التيارات والمدارس الصهيونية المختلفة وإن تنوعت أساليبها واختلفت وسائلها فهي تتفق في الجوهر ، وتتبنى كلها نسقاً أيديولوجياً واحداً، وتتحد حول الهدف المرسوم ، ألا وهو : حل مشكلة اليهود عن طريق استيطان فلسطين بطريقة جماعية وإقامة دولة يهودية صهيونية .
فهذه المدارس كلها تبرر نقل اليهود إلى فلسطين بمعاذير مختلفة ، لكنها تصبّ في اتجاه واحد هو : تهجير الفلسطينيين بالقوة وإبعادهم عن طريق طردهم ومصادرة أراضيهم ، فنقل اليهود من المفهوم الماركسي يتم لأسباب أممية اشتراكية، وأما من المنظور الليبرالي فيتمّ لأسباب ديمقراطية وتاريخية ، ولكن يظل الإجماع قائماً رغم اختلاف القناعات الفكرية حول الفكرة الصهيونية ذاتها .
إن علاقة الصهيونية باليهودية علاقة عضوية حيث لا تنفك إحداهما عن الأخرى ، وبالتالي يمكن القول : إن الصهيونية واليهودية وجهان لعملة واحدة ؛ وما الماركسية والليبرالية إلا قناعان يستعملهما اليهود لتمرير مخططاتهم وخدمة أهداف الصهيونية القريبة والبعيدة .
والدارس عبر التاريخ لليهود بوصفهم شعباً له صفاته وخصائصه المميزة يجده شعباً شريراً ، خائناً ، ملتوياً ، خبيث الطوية ، ماجن السلوك ، عنصرياً ، مغروراً ، جشعاً ، يستغل الآخرين ، يثير الفتن ، ويبيت المؤامرات ضد الأمم والشعوب الأخرى [16] .
وهكذا : فالناظر في عقلية ونفسية القوم لا يجد على الإطلاق اختلافاً في الصفات والخصائص بين اليهودية والصهيونية بوصفهما توأمين يتفقان في الأسس والمبادئ والأهداف ، وهي :
-المحافظة على تميز العنصر اليهودي .
-العمل من أجل العودة إلى أرض الميعاد .
-السيطرة على جميع شعوب الأرض وتسخيرها لخدمة الجنس اليهودي .
وعلى الرغم من الدعاية الواسعة التي نشرتها بعض الحركات الصهيونية في أوساط الرأي العام العالمي حول اشتراكيتها وماركسيتها ، فالحقيقة تبقى أن الشيوعية بصفة عامة والمؤسسات الصهيونية العمالية أو الاشتراكية بصفة خاصة هي في جوهرها العملي أدوات ومؤسسات لخدمة مصالح إسرائيل قبل قيام الدولة وبعدها .
ولعل ما يعكس بوضوح هذه الرؤية تيار اليهودي الصهيوني بورخوف الذي حاول توظيف المنهج الماركسي في خدمة رؤيته الصهيونية ، فأكّد الأساس الطبقي والاقتصادي للصهيونية ، وخلُص من تحليله إلى حتمية الحل الصهيوني وسيلةً لتزويد كل الطبقات اليهودية الهامشية بقاعدة الإنتاج أو الأرض المقدسة في المصطلح التقليدي [17] .
وليس البناء الاقتصادي في إسرائيل إلا نتاجاً لنشاطات الصهيونية العمالية الاشتراكية بالدرجة الأولى ، فالهستدروت (اتحاد نقابات عمال إسرائيل) والكيبوتس (المزارع الجماعية) والهاجاناه والبالماخ (منظمات عسكرية صهيونية) هي الأدوات التي استخدمها الصهاينة الماركسيون في تحويل جزء من فلسطين إلى دولة صهيونية ، وهذه المؤسسات أوجدتها الصهيونية العمالية المرشحة منذ البداية لهذا الدور ، لأنها هي التي استقطبت يهود شرق أوروبا الذين تمّ تهجير بضعة آلاف منهم وزرعهم في فلسطين ، الأمر الذي عجز عنه تماماً الصهاينة السياسيون والثقافيون والدينيون [18] .
ومن الواضح جداً أن اليهودي سواء أكان ماركسياً أم رأسمالياً إنما يؤمن بفكرة رئيسة وهي العودة لأرض الميعاد لتأسيس دولة يهودية تعبّر عن الروح الخالدة

للشعب اليهودي ، وهذه هي نقطة البداية والنهاية بالنسبة لجميع اليهود بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية أو المذهبية التي ينبغي أن تكون في خدمة الأمة اليهودية أولاً وأخيراً .

وقد تنبه كثير من اليهود لهذا الجانب في الأيديولوجية الصهيونية ؛ فالحاخام لانجلو يشير إلى أن البرنامج الصهيوني يدور حول فكرة واحدة ، وكل القيم الأخرى إن هي إلا أداة في يد هذا المطلق (الأمة) [19] .

ويقول موشي ليلينبلوم : إن الأمة كلها هي أعزّ علينا من كل التقسيمات المتصلة المتعلقة بالأمور الأرثوذكسية أو الليبرالية في الدين ، فعندما يتعلق الأمر بالأمة يجب أن تختفي الطائفية .. فلا مؤمنون ولا كفار ، بل الجميع أبناء إبراهيم وإسحاق ويعقوب .. لأننا كلنا مقدسون ، كل واحد منا ، سواء أكنا غير مؤمنين أو أرثوذكسيين [20] .

ولذلك فلا الماركسيون اليهود يصرون على ماركسيتهم ؛ فحزب المابام اليسارى مثلاً أيّد التدخل الأمريكي في فيتنام ، ولم يعارض الاستثمارات الأجنبية والخاصة في إسرائيل ، ولا الليبراليون الرأسماليون يصرون على ليبراليتهم ورأسماليتهم ؛ فحزب الماباي يدخل في تحالف مع الأحزاب الدينية مطلقاً يدها في كثير من جوانب الحياة في إسرائيل العلمانية ! ! ، كما أن الأحزاب اليمينية لا ترفض التحالف مع الأحزاب اليسارية ، وتقبل بعض السمات الاشتراكية أو الجماعية التي تتسم بها الحياة في إسرائيل ، والجميع في حالة الحرب يقفون صفاً واحداً إذا كان الأمر يتعلق بإبادة الفلسطينيين [21] أو شن حرب ضد الإسلام والمسلمين .

كما أن التنسيق بين يهود الشتات يسير في الاتجاه نفسه نحو التكامل للسهر على مصالح الدولة العبرية ، فنشاطهم يمارس من خلال المساعدات المالية الضخمة والأعداد البشرية الموجهة لدعم الدولة الصهيونية في إسرائيل ؛ فوفق خطة محكمة يقدم يهود أوروبا الشرقية وروسيا الدعم البشري ، ويقدم يهود أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأموال والضغط الدبلوماسي من أجل مصلحة إسرائيل .

إن الخلاف بين العلمانيين والمتدينين الصهاينة هو خلاف أسلوب لا مضمون، إذ لا يختلفون في الأسس والمبادئ ، كما يتفقون حول الغايات والأهداف لخدمة إسرائيل وأمنها ومستقبلها .

ويمكن أن يتساءل المرء : لمن ولاء اليهود ؟ ، إن الإجابة على هذا السؤال نجدها في ثنايا كتابات وتصريحات اليهود أنفسهم ؛ يقول وايزمان : إن في أعماق كل يهودي صهيونياً كامناً [22] ، ورسم ابن جوريون صورة للمحامي اليهودي الخالص الذي يلعب دوراً تخريبياً خارج وطنه القومي ، ويعارض الدولة وقوانينها .. أما داخل الوطن القومي فإنه سيلزم نفسه بغرس غريزة توقيرالدولة والقانون واحترامهما [23] .

ويعتقد فيلسوف الصهيونية موشي هس أن اليهودي لا يمكن أن يفرّ من تميزه وانتمائه للشعب المختار والمضطهد بقوله : عبثاً يختبئ هؤلاء اليهود العصريون من مسرح جريمتهم وراء مواقعهم الجغرافية أو وراء آرائهم الفلسفية ... قد تقنّع نفسك تحت ألف قناع ، وقد تغير اسمك ودينك وطباعك ، وقد تسافر حول العالم متخفياً كي لا يكتشف الناس أنك يهودي ، لكن أي إهانة موجهة للاسم اليهودي ستؤلمك بحدة يفوق إيلامها ذلك الرجل المخلص ليهوديته المدافع عن شرف الاسم اليهودي ! [24] ، وهذه الرؤية للبعد الديني أو اليهودي في الصهيونية تنعكس في موقف مفكرين صهاينة آخرين مثل الأديب الإسرائيلي آهارون ميجد عضو حركة العمل الذي يعلق على هذه الظاهرة بقوله : ... لقد ذهبت نظرية (دين العمل) إلى سبيلها ، وجاء

دين آبائنا ليملأ المكان الخالي ، هل هذا سيء للغاية ؟ هل هذا أسوأ من الفراغ المطلق ؟ ففي ليلة عيد الغفران على الرغم من كل هذا ستكون الشوارع هادئة ونظيفة ، والسيارات لن تصرخ ، وتغلق المطاعم أبوابها ، ولن يدوي التلفزيون من كل نافذة ، وسيسود الإحساس بالعيد كل شيء ، وبدلاً من أن تتجول العصابات في المدينة ، فإنه سيكون من الأفضل لها أن تدخل إلى المعابد لتستمع إلى الصلاة [25] .

ومن الملاحظ أن الرؤية الصهيونية للتاريخ تأثرت بالرؤية اليهودية القديمة تأثراً كبيراً ، حتى إنهما يتشابهان في البنية ، فبوبر يرى أن تاريخ اليهود هو تاريخ يتدخل فيه الرب ، ويفرق بوبر بين التاريخ : التجربة التي تعيشها الأمم ، و الوحي: وهو التجارب المهمة الخالصة التي يعيشها الأفراد ، ويرى أنه حينما يتحول الوحي إلى أفكار يفهمها جمهور الناس ويؤمنون بها ، فإنها تصبح عقائد ، هذا هو الوضع بالنسبة لسائر الأمم ، أما بالنسبة لإسرائيل فالأمر جد مختلف ؛ إذ إن ثمة تطابقاً كاملاً بين الوحي والعقيدة والتاريخ ، إن إسرائيل تتلقى تجربتها الدينية الحاسمة كشعب ؛ فليس النبي وحده هو الذي تشمله عملية الوحي ، بل المجتمع كله على حد زعمه وإن مجتمع إسرائيل يعيش التاريخ والوحي ظاهرة واحدة التاريخ وحي والوحي تاريخ [26] .

وهكذا يتحول اليهود في منظور الصهاينة كما هو الحال تماماً مع الرؤى الدينية الإسرائيلية القديمة إلى شعب من الأنبياء ، ويتحول تاريخهم إلى وحي مستمر ، ولذا : فاليهود بحسب تصور بوبر : أمة تحمل وحياً إلهياً عبر تاريخها المقدس [27] .

ويقول نحمان سيركين الزعيم الصهيوني العمالي : إن الفيلسوف المتصوف والمفكر الاشتراكي يتفقان على خصوصية التاريخ اليهودي وقدسيته كما يتفقان على تداخل التاريخ المقدس والتاريخ الإنساني [28] .

وكما كان اليهود القدامى يرون أن تاريخ الشعب اليهودي محطّ اهتمام الرب ، وأنه مركز الحركة التاريخية ، خلع الصهاينة المركزية والإطلاق نفسيهما على تاريخ الشعب اليهودي ؛ فالتاريخ الإنساني كله يدورحول الأمة اليهودية التي تقف في وسطه لتجسد فكرة وجود الله التي تمثل حجر الزاوية في حركة التاريخ نحو الخلاص كما يقول بوبر [29] .

وكما أن وجود الماشيح المنتظر أساسي لإضفاء معنى على التاريخ اليهودي : فوجود اليهود في التاريخ الإنساني أساسي لإضفاء معنى على هذا التاريخ في الرؤية الصهيونية ؛ إن تأمين نظام العالم الذي يترنح بين عواصف الحروب الدموية يتطلب بناء الدولة اليهودية ، وبناءُ كيان الشعب وإظهار روحه هما عملية واحدة لا يمكن الاستغناء عنها لإعادة بناء العالم المهتز الذي ينتظر القوة العليا الموحدة الموجودة في تجمع إسرائيل المقدس [30] .

و هس العلماني له رأي مماثل شرحه في كتابه روما والقدس : إن تاريخ الإنسانية أصبح مقدساً من خلال اليهودية [31] .

وخلاصة القول : إن الصهيونية واليهودية إنما تعبران عن فلسفة واحدة متكاملة ، وهي تتخطى الخلافات السطحية بين اليهود لتصل إلى البنية الفكرية الكامنة وإلى النسق الأيديولوجي الواحد بغض النظر عن التنوع والاختلافات ، وإن العلاقة بينهما مركبة إلى حد بعيد ، إذ إن الأفكار الأساسية للأيديولوجية الصهيونية مستقاة من العقيدة اليهودية ، وليس أدل على البعد اليهودي لدولة الصهاينة من اسم دولتهم ، وشعار حكومتهم ، وشكل علمهم ذي اللونين الأبيض والأزرق لون الطاليت (شال الصلاة اليهودي) تتوسطه نجمة داود ، ويتحدث نشيده القومي عن عودة إلى وطنه تذكّر المرء بالعودة إلى العصر الماشيحاني ، واسم الدولة (إسرائيل) ، واسم

البرلمان الذي يجتمع فيه ممثلو الشعب اليهودي (الكنيست) أي : المعبد ، والدستور غير المدون عندهم الذي يعتبر التوراة هي الدستور الأعلى في إسرائيل ، إضافة إلى عشرات الرموز والشعارات الدينية التي استقاها الإسرائيليون الصهاينة من تراثهم الديني في ميادين الحرب والسلام ومراحلها وأدواتها وعملياتها وآلياتها .

فإسرائيل بالمعنى الديني هي نفسها إسرائيل الشعب بالمعنى العرقي ، وهي نفسها إسرائيل الدولة بالمعنى الصهيوني ، وكلها تجليات للجوهر نفسه .

وهذه الفكرة جديرة بالإشارة إليها وبخاصة بالنسبة لأولئك الذين لا يدركون المقومات التي تربط بين هذه المفاهيم الثلاثة ، فيظنون أن ليس ثمة علاقة عضوية بين الصهيونية واليهودية [32] .

إن ممتلكات إسرائيل القومية العزيزة على قلوب اليهود وهي الأرض واللغة والتاريخ والعادات هي القاسم المشترك بين اليهودية والصهيونية ، بصرف النظر عن انتماء اليهود الحزبي أو الطائفي أو الأيديولوجي ؛ ولذلك : فإن محاولة الماركسيين العرب تجريد اليهود الماركسيين من خلفيتهم الصهيونية إنما هي محاولة لتزييف الحقيقة ، والغرض منها إبعاد كل شبهة عن المذهب الماركسي الشيوعي ! ! .

---

(1) أحمد عطية : القاموس السياسي ، ص 917 .
(2) الموسوعة السياسية ، بإشراف د عبد الوهاب الكيالي ، ص659 .
(3) المرجع نفسه ، ص660 وتاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ، (1897- 1918) ، ص21 .
(4) عبد الوهاب المسيري : الأيديولوجية الصهيونية ج1 ، ص207 .
(5) الموسوعة السياسية ، ص660 .
(6) روجيه جارودي : ملف إسرائيل : دراسة الصهيونية السياسية ، ص80 .
(7) الموسوعة السياسية ، ص660 .
(8) عبد الوهاب المسيري : المرجع السابق ، ج1 ، ص198 ، 199 .
(9) الموسوعة السياسية ، ص663 .
(10) عبد الوهاب المسيري : المرجع السابق ج1 ، ص201 ، 202 .
(11) الموسوعة السياسية ، ص665 .
(12) المرجع نفسه ، ص665 .
(13) المرجع نفسه ، ص663 .
(14) عبد الوهاب المسيري : المرجع السابق ج1 ، ص203 ، 204 .
(15) David Ben Gurion : Rebirth and Density of Israel, p 195) 16 (أنظر : عبد الرحمن حبنكة الميداني : مكايد يهودية عبر التاريخ ، ص13- 20 ، ومحمد عزة دروزة : اليهود في القرآن الكريم ، ص131 ، 132 .
(17) د المسيري : المرجع السابق ، ج1 ، ص204 .
(18) المرجع نفسه ، ج1 ، ص 205 .
(19) أرثر هرتزبرج : الفكرة الصهيونية : تحليل تاريخي ومختارات ، (ترجمة لطفي العابد وموسى عنتر) ، ص38 .
(20) المرجع نفسه ، ص71 .
(21) المرجع نفسه ، ج1 ، ص213 .
(22) Richard Grossman : Aivation Reborn The Israel of Weizman, p 19) 23 (David Ben Gurion : Loc - Op - cit, p 420-421) 24 (آرثر هرتزبرج : المرجع السابق ، ص25 .
(25) د رشاد عبد الله الشامي : القوى الدينية في إسرائيل ، ص44 ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد 186 ذو الحجة ، 1414ه/ يونيو 1994م (مصدره : روبنشتاين إمنون : من هرتزل إلى جواش إيمونيم ذهاباً وعودة) .
(26) آرثر هرتزبرج : المرجع السابق ، ص331 .
(27) المرجع نفسه : ص336 .
(28) المسيري : المرجع السابق ، ج1 ، ص238 .
(29) آرثر هرتزبرج : المرجع السابق ، ص333 .
(30) المرجع نفسه ، ص297 .
(31) المرجع نفسه ، ص310 .
(32) انظر ريجينا الشريف في كتابها : الصهيونية غير اليهودية ، من إصدارات سلسلة عالم المعرفة عدد رقم 96 ، الكويت .

المسلمون والعالم

الصومال
بين أسياد الحرب وأسياد الفقر

محمد عثمان

بعد مرور أسبوعين من انسحاب قوات الأمم المتحدة من الصومال مازال وضع هذا البلد المنكوب في حالة من الفوضى ، حيث لا يوجد حتى الآن حكومة مركزية فضلاً عن مصالح عامة تقيم للناس شؤونهم اليومية .

وبعد انسحاب الأمم المتحدة ساد الخوف مجدداً من اندلاع حرب قبلية جديدة في العاصمة ، وبالتالي حرب شاملة في المناطق الأخرى .

الوضع الحالي في البلاد :

مازال كل من الجنرال محمد فارح عيديد والرئيس علي مهدي محمد يسيطر كل منهما على شطر من المدينة التي دمرتها حرب 91-1992م ؛ فبينما يحاول عيديد فرض سيطرته على المطار والميناء يحاول علي مهدي إقناع حلفائه بعدم السماح لـ عيديد تولي رئاسة البلاد ، إذ إن عيديد هو الأقوى عسكرياً والأكثر كفاءة وتنظيماً ، إلا أن علي مهدي يعتمد على الكثافة القبلية بجوار العاصمة .

وفي (كسمايو) عاصمة (جوبالاند) يتصارع كل من الجنرال محمد سعيد حرسي مورجان صهر الرئيس السابق والعقيد أحمد عمر جيس ، والأول يسيطر على (كسمايو) حتى الآن ، وتوقُّع اندلاع حرب بينهما محتمل في أي وقت ، وتعتبر منطقة (جوبالاند) من المناطق الخصبة وذلك لمواردها السمكية والزراعية ووجود الميناء الرئيس في المنطقة بها .

وفي شمال شرق البلد يتصارع على السُلطة هناك كل من الجنرال محمد أبشر موسى والعقيد عبد الله يوسف ونتج من هذا الصراع تدهور أحوال المعيشة في المنطقة وإغلاق ميناء (يوصاصوا) المصدر الرئيس للمعيشة في المنطقة .

وفي شمال غرب البلاد (جمهورية أرض الصومال) التي أعلنت الانفصال : فإن الوضع في غاية الخطورة وبخاصة بعد اندلاع الحرب في شهر نوفمبر 1994م في مدينة (هرجيسا) ثاني أكبر المدن بين أنصار أحمد محمد علي (تور) والرئيس محمد إبراهيم عجال ، ونتج من هذا قتل أكثر من مائة شخص ولجوء آلاف منهم إلى مخيمات داخل أثيوبيا .

وبالإمكان رسم خارطة التحالف الحالي كما يلي :

الجنرال محمد فارح عيديد (جنوب مقديشو)	الرئيس علي مهدي محمد (شمال مقديشو)
العقيد عبد الله يوسف	الجنرال محمد أبشر موسى
العقيد أحمد عمر جيس	الجنرال محمد سعيد حرسي
عبد الرحمن أحمد علي (الأحدب)	الرئيس محمد إبراهيم عجال

والسؤال هنا : من هو الذي ترجح كفته ضد خصمه ، ومن هو الأقرب للرئاسة ؟

قبل الإجابة لابد من معرفة مواقف القوى الفاعلة التي يمكن أن ترجح كفة طرف دون آخر ، وهناك أربع قوى رئيسة لها أثر في المنطقة :

1- الدول العربية : فبعد انهيار الشيوعية لم يبق للصومال أهمية استراتيجية لمنطقة الخليج العربي ، وبالتالي : فإنه لا يوجد أي حل عربي حتى الآن ، وليس للدول العربية مَيْلٌ لتأييد مجموعة ضد أخرى ، عدا السودان الذي أيد فارح عيديد

في البداية وسانده بمساعدات محدودة .
2- موقف دول السوق الأوربية المشتركة (EEC) : وهو حتى الآن غير واضح وبخاصة في تعاملهم مع أمراء الحرب ، إلا أن الذي يظهر أن إيطاليا هي صاحبة القرار في شؤون الصومال ، وموقفها معروف بميولها إلى الرئيس المؤقت علي مهدي محمد ومعروف أن إيطاليا تريد حلاً سريعاً للأزمة حتى تتمكن من الاستفادة باستثمارها الزراعي (الموز) في القسم الجنوبي من البلاد .
3- الدول الإفريقية المجاورة (الحبشة إرتريا كينيا أوغندا السودان) : وجميعها تؤيد عيديد نظراً لتوجه جل زعماء العالم الثالث بالوقوف مع الأقوى عسكرياً ، إلا أن هذه الدول نفسها تعاني من حروب داخلية وبالتالي فإنه من المستبعد أن يتقدموا بحل لأزمة الصومال .
4- أمريكا وموقفها المتردد في تأييد طرف دون آخر : فتأييدها لعيديد يجعلها تشعر بالحرج أمام أصدقائها في العالم الثالث ، ويحيي هذا آلاماً وسط الشعب الأمريكي الذي مازال يتذكر قتلى قوات المارينز هناك ، لذا : فإن إمريكا لا يمكن أن تختار عيديد رئيساً ، ويمكن أن تأتي ببديل من قبيلة عيديد نفسها ، ولعل عثمان عاتو وهو تاجر كبير ربما يتمتع بتأييد أمريكي (1) على أن يقنع عاتو الجنرالَ عيديد بعدم استخدام القوة ضد خصمه مهدي محمد ، وأن يوضع المطار والمرفأ تحت إدارة مكونة من الطرفين ، ويؤيد هذا الرأي التجار وبعض الضباط الكبار أمثال محمد نور جلال .

خيبة إعادة الأمل :

إن تجربة أمريكا والأمم المتحدة في الصومال والتي سميت بإعادة الأمل لم يكن لها من اسمها نصيب ؛ حيث كانت تجربة قاسية وتعتبر مهمة فاشلة حيث خرجت قواتها ولم يتغير من الوضع شيئاً ، ولم تخلف الأمم المتحدة أي مرفق حيوي سواء أكان ذلك مدرسة أو مستشفى ، كما أنها لم تكوّن إدارة مناسبة رغم أن تكلفة وجودها الذي يقدر بثلاثة بلايين دولار وخسارة أكثر من 140 فرد من ذوي القبعات الزرقاء . والمستفيدون من هذا الوضع هم أمراء الحرب (الجنرالات المعروفون) وأمراء الفقر (أي : هيئات الإغاثة النصرانية) التي تتاجر باسم الإغاثة لتنصر وتنهب خيرات هذا الشعب المنكوب .

الحل الإسلامي :

يرى المتابع أن الحل الإسلامي غائب ، حيث لم يتسن تبني الطرح الإسلامي من الأساس من أطراف النزاع ، بل كانت المسألة فيما بينهم هي حرصهم على الحصول على مصالح شخصية ليس إلا ، وذلك يعود لأسباب كثيرة من أبرزها : التركيبة القبلية للشعب الصومالي ، بالإضافة إلى العوامل الداخلية وهي اختلاف في تشخيص الازمة وإيجاد حل لها .
ولعل الأصوب تكوين مجلس للعلماء والمشايخ والدعاة البارزين كالشيخ شريف عبد النور والشيخ محمد نور قوي والشيخ محمد معلم حسن والشيخ علي ورسمه والشيخ عمر الفاروق وغيرهم ، يقوم بدور القيادة وطرح الحلول للأزمة وفصل القبائل المتصارعة ومحاولة الصلح بينها .. إلى غير ذلك من المحاولات التي تجمع كل الفعاليات القائمة في الساحة على كلمة سواء لمحاولة انتشال البلاد من ويلات الحرب وليعود للشعب الصومالي دوره المأمول في حياة مستقرة ومعيشة كريمة .

وللمقال بقية ...

المسلمون والعالم

جهود المنصرين في كينيا ..
أضواء على الخطط القائمة لاستئصال المسلمين

خلفان خميس إسماعيل

إن المسلمين في العالم العربي والإسلامي بعد سقوط الأندلس ضعفت قواهم فأصبحوا كالصيد الجريح يحمل الموت والحياة معاً .

أما النصارى فلما دانت لهم بلاد المسلمين في الأندلس ، لم يكتفوا بإعمال السيوف في رقاب المسلمين يقتلونهم دون رحمة ولا شفقة فحسب ، بل ازدادت قلوبهم عطشاً لدمائهم ؛ فكشروا عن أنيابهم وشرعوا يلاحقون المسلمين أينما وجدوا، فنزلت سفنهم تضرب البحار فيما سُمّيت زوراً وبهتاناً بالكشوف الجغرافية بحثاً عن المسلمين ، ومحاولة تطويق العالم الإسلامي .

فتحركوا نحو الجنوب مروراً برأس الرجاء الصالح ، وكانوا لا يمرون بمدينة إلا وأنزلوا فيها بأسهم وبطشهم ينشرون الرعب بين المواطنين قتلاً وتشريداً .

ولما وصلوا إلى (مُمباسا) المدينة الإسلامية على الساحل الكيني قتلوا أهلها المسلمين في مذابح جماعية ، ثم حرقوها خمس مرات ! ، وفعلوا مثل ذلك في مدينة (غيدي) و (لامو) وغيرها ، باستثناء مدينة (ماليندي) حيث صالحهم أميرها ، وقدم لهم المساعدات ليواصلوا رحلتهم الاستكشافية ! ! المزورة على التاريخ .. والذي يثير الأسف : أنه أثناء تواجد البرتغاليين في (مُمباسا) بنوا قلعة يسوع لنشر المسيحية ، كما بنى فاسكو دي جاما منارة في مدينة (ماليندي) ، وكل ذلك مما يدل على أن الكشوف الجغرافية عندهم تعني تعذيب المسلمين ونشر المسيحية .

هذه الرحلات كانت واضحة الأهداف والوسائل ، ومثلها مثل كل الرحلات التي يقوم بها الصليبيون في العالم الإسلامي ؛ يدرسون مداخله ومخارجه ، ثم يرجعون إلى حكوماتهم ليدلوها على منافذ التسلل إلى بلاد المسلمين ، وإلا .. فهل كانت هذه البلاد المكتشفة خالية من السكان ! أولم يكن يعرفها أحد على الإطلاق ؟ ! .

من المعروف أن الأوربيين لما وصلوا إلى ما يسمى (بالعالم الجديد) ولم يكن جديداً أبادوا السكان الأصليين وهم (الهنود الحمر) .

وهذا يعني : أن هذه البلاد كانت آهلة بالسكان قبل مقدم المكتشفين ، وكذلك كان الحال في إفريقيا شرقها وغربها ، إذن : تسمية هذه الرحلات استكشافية افتراء وتزوير على التاريخ ، لقد كانت تلك الرحلات تنصيرية بكل معاني الكلمة ، سواء أكان ذلك من حيث الدافع أو من حيث الهدف والوسيلة .

وماذا بعد اللعبة الخبيثة ؟ :

وبهذه اللعبة الخبيثة تعتبر الكاثوليكية هي الطائفة الأولى وصولاً إلى شرق إفريقيا وذلك في الموجة الأولى تحت ستار (الكشوف الجغرافية) التي قام بها فاسكو دي جاما وأعوانه في القرن الخامس عشر ، إلا أن هذه الموجه لم تؤت أكلها لعدم اعتناق النصرانية إلا من قِبَلِ نفر قليل ، وقد تغلب العُمانيون عليهم بعد حروب دامت قرنين من الزمن ، وفي القرن التاسع عشر : هبت الموجة النصرانية الثانية على بلاد شرق إفريقيا ، وعاودت الكرّة من جديد ، وكانت البروتستانتية هي الرائدة في هذه الموجة وبأسلوب يختلف عن أسلوب الموجة الأولى ، ولما جاء الاستعمار البريطاني عام 1884م أخذ العمل التنصيري طابعاً رسمياً ؛ وذلك بوقوف الحكومة البريطانية مع رجال التبشير ، وتقديم الدعم السخي في سبيل نشر النصرانية

بمختلف الوسائل . ومما يلاحظ : أن النشاط التنصيري آنذاك كان قاصراً على المناطق الساحلية ذات الأغلبية المسلمة في الموجة الأولى ، لكن في بداية الموجة الثانية أي : من القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين بدأ التسلل إلى عمق الأراضي الكينية ، وبدأت الإرساليات التنصيرية الأجنبية المتمركزة في المنطقة الساحلية تنتقل إلى الداخل ، عملاً بنصيحة المؤتمرات التنصيرية بأن يسبقوا المسلمين إلى الوثنيين .

وفعلاً أسسوا مراكزهم من : مدارس ، ومستشفيات ، وكنائس ، وغيرها في مختلف المناطق الداخلية الوسطى والغربية مثل : (فوي) و (ليمورو) و (كيسومو) وغيرها .

وبعد الحرب العالمية الأولى شهدت النصرانية في هذه المناطق نمواً كبيراً وازدادت أنشطتها ؛ فترجموا الإنجيل إلى مختلف اللغات القبلية وإلى اللغة السواحيلية ، فنتج عن تلك الحركة وأنشطتها أن تنصر آلاف من الوثنيين ، وفي بداية الأربعينات انقسمت الكنيسة البروتستانتية ، وأنشأ المنشقون عنها كنائس مستقلة ، وفي محاولة لرأب الصدع أنشيء (المجلس المسيحي في كينيا) ، وفي عام 1959م عقد مؤتمر كنسي بين الكاثوليك والبروتستانت ، وكانت مهمته التنسيق بين جهود الكنيستين والقضاء على تبديد الطاقات وتضارب سبل العمل ، وكوّنوا (المجلس الوطني المسيحي في كينيا) .

وفي بداية النصف الثاني من القرن العشرين واصلت حركة التنصير عملها ، وكثفت جهودها وأنشطتها بمزيد من نشر ترجمة الأناجيل والكتب الدينية الأخرى ، وفتحت كليات اللاهوت في (نيروبي) ، وفي (ليمورو) ، وفي (مجاكوس) ، وفي (تاناريفان) ، وأسسوا محطة إذاعية في (كيجابي) ، وكذلك شهدت هذه الفترة ما يسمى ب (حركات الإصلاح) المختلفة وإنشاء المنظمات والجمعيات التنصيرية المتنوعة ، ولما بدأ البث التلفزيوني عام 1962م ؛ تضمن برنامجه بث النصرانية بشكل كبير ، وافتتحت أيضاً (إذاعة صوت كينيا) في عام 1963م ، ولازالت تواصل إرسالها حتى الآن ، واسمها الجديد (Kenya Broadcasting Co-Operation K . B . C) ، وفي عام 1964م أصدر المجلس المسيحي في كينيا صحيفة باسم الهدف Target/Lengo باللغتين الإنجليزية والسواحيلية ، بالإضافة إلى صحيفة الشعب باللغة الإنجليزية .

نصرانية كينيا بعد الاستقلال :

وفي عام 1963م رحل الاستعمار عن كينيا ، لتصبح مستقلة سياسياً ككثير من الدول المستقلة آنذاك ، بعد أن تأكد المستعمرون من أنهم خلّفوا جيلاً نصرانياً عريضاً وفياً ، فأسندوا إليه قيادة الجمهورية الجديدة من الكوادر المدربة المخلصة للنصرانية والموالية للسياسة الغربية .

وأبعدوا العناصر الإسلامية التي همشها المستعمر الغربي عن المؤسسات السياسية ومراكز التأثير ، وتجاهلوا الوجود الإسلامي ، وفرضوا تعتيماً إعلامياً على الإسلام والمسلمين ، واعتمدت الحكومة سياسة التهجير والتوطين ، فأصبحوا يقومون بتهجير كثير من النصارى وتوطينهم في مناطق المسلمين بحجة استصلاح الأراضي الزراعية كما حدث في مدينة (مبكيتوني) التي تقع في المنطقة الساحلية ، كل ذلك لضمان سيطرة النصارى على مقاليد الأمور في البلاد ولضمان انتشار الحركة التنصيرية حتى يتم تنصير كينيا كلها ، ولتصبح دولة نصرانية تماماً بحلول عام 2000م حسب الخطة المرسومة من قِبَل الفاتيكان .

ولما كانت نتائج حركة التنصير المكثفة الأولى مثمرة ، فقد ازداد اهتمام أمريكا بهذه الدولة الوليدة ؛ ترعاها وتكفلها وتُوفد إليها المنصرين من حين لآخر .

وحقاً كانت نتائج هذه الحركة في الستينات مذهلة ورهيبة ، ولذلك أُعتبرت كينيا بمثابة الفاتيكان في إفريقيا ، وهي المسؤولة عن تصدير النصرانية إلى باقي دول إفريقيا ، فحظيت كينيا بهذه الاعتبارات برعاية خاصة ومركزة من قبل العالم النصراني ، واستبشروا خيراً بهذه النتائج ، وتوقعوا أن تصبح نصرانية تماماً مع طلوع فجر عام 2000 م إن استمر الحال على هذا الوضع .

وفي عام 1975م عقد المؤتمر الخامس لمجلس الكنائس العالمي في (نيروبي) وكان من أهم الموضوعات المدرجة على جدول أعماله مشكلة الميزانية ، حيث بُحثت هذه المشكلة بغية إيجاد حل مناسب لها ليتمكن المجلس من القيام ببرامجه الكثيرة لنشر النصرانية ، وتم تحديد مصادر الدخل من (13) دولة أوربية وأمريكية والتي ستساهم بـ 98% من ميزانية المجلس ، والباقي من الكنائس الأعضاء والمؤسسات الكنسية الأخرى ، وقد تمخض عن هذا المؤتمر انضمام معظم الجمعيات الكنسية المحلية لعضوية المجلس في نفس العام .

وفي عام 1989م عقد زعماء النصارى في كينيا اجتماعاً سرياً في (نيروبي)، وقد استطاع أحد المسلمين التسلل إلى قاعة الاجتماع ، فأفشى هذا الخبر ، كما نُشرت هذه الأخبار في : جريدة الرسالة (The Message) لجمعية الشبان الأنصار في (مُمباسا) ، وفي مجلة المجتمع الكويتية ، ومجلة المركز السودانية ، وعشرات من الصحف الإسلامية .

وأهم ما نوقش في هذا الاجتماع :

1- وضع السبل والوسائل الكفيلة لضمان تنصير المسلمين .

2- وضع حد لمنع تدفق السيل النصراني نحو الإسلام ، ومحاولة إرجاع من أسلم إلى النصرانية من جديد .

3- تبني خطوات جديدة في عملية التنصير ، مثل :

أ) نشر الإنجيل داخل بيوت المسلمين .

ب) استخدام آيات من العهد القديم ، واستخدم اسم عيسى بدل يسوع عند مخاطبة المسلمين .

ج) بناءالمراكز الصحية ذات الأهداف التنصيرية في أماكن تجمع المسلمين .

4- دراسة الإسلام ومذاهبه وفرقه للوقوف على نقاط الضعف والاختلاف وكيفية إثارة هذه النقاط لإيجاد الخصومات بين الفرق الإسلامية ! !

5- دراسة المنظمات والجمعيات الإسلامية وأنشطتها ومصادر تمويلها وميزانياتها .

6- مساعدة المتنصرين الجدد مادياً وثقافياً ، وذلك بتعليمهم المهن والحرف المختلفة مع تقديم رأس مال لمن له خبرة في شؤون التجارة منهم ، وتعليم أبنائهم وإرسالهم إلى الخارج للدراسات العليا .

وقد علم في نهاية هذا الاجتماع أن إحدى المؤسسات الكنسية المتمركزة في الولايات المتحدة قد تعهدت بتقديم ما يقارب المليارين من الشلن الكيني لاستخدامها في المشاريع التنصيرية المختلفة ، وفي الختام أوصى الاجتماع بعقد اجتماع آخر بعد أربعة أشهر لمعرفة ثمرات جهودهم وتدقيق حساباتهم ، وفي عام 1993م جعل الفاتيكان وكيلاً له في مدينة (هومابي) الواقعة على بحيرة فيكتوريا حيث درسوا استراتيجية المنطقة ، ورأوا أنها صالحة للقيام بنشاطاتهم ، إذ يمكنهم استقبال الذين يأتون من : تنزانيا ، وأوغندا ، وبوروندي ، ورواندا ، بسهولة .

هذه جهود القوم في أداء رسالتهم في تنصير المسلمين أو على الأقل إخراجهم عن دينهم ، وهذا ما صرحوا به في كثير من لقاءاتهم ومؤتمراتهم ، فإلى متى تكون جهود المسلمين قليلة وأعمالهم أقل ؟ ! .

في دائرة الضوء

نهاية الاستشراق القديم وبداية عهد جديد

محمد حامد الأحمري

هناك من يحبون استدبار الحوادث إذا استقبلتهم ، فيقررون الغياب عن الزمان والناس والأفكار مرعوبين من الجديد ، ليعيشوا في زمن معروف ، ومع أقوام معروفين ، وأفكار معروفة ، وهم إن عادوا إلى تلك المدارس والأشخاص وجاؤوا بجديد فلا تثريب عليهم ، ولكن اللوم على أولئك الذين يعيدون الهجرة إلى الماضي القريب ويريدون أن نذهب معهم مرة أخرى إلى عوالم معروفة لنا ولهم ، مدروسة ، مكرورة ، مملولة ، ثم هم لا يبدعون في رؤيتهم جديداً ، ولا يمتعون عقولنا وأذواقنا بشيء ، يزعمون أن جهدهم الجهد وقولهم الفصل وإن كان قد دُرِسَ حتى دَرِس .

إن تكن طالت عليك المقدمة ، فقد أودعتها جزءاً من القضية ؛ لأن جمعاً من قومنا لفتوا الانتباه هذه الأيام إلى العودة لأعمال الحركة الاستشراقية فيما قبل قرن يزيد أو ينقص قليلاً ، ويعيدون الحديث عن الأسماء نفسها ، والكتب ذاتها ، ويختصرون أو يشرحون كلام المعقّبين على الحركة تلك ، ويقولون ما قاله عمر فروخ أو الخالدي أو العقاد أو الجندي ، بل وللأسف ليس لبعض هؤلاء المتحدثين اليوم اطلاع الناقدين السابقين ، ولا يملكون الوسائل اللازمة لدراسة الاستشراق ، وأولها لغاته ومناهجه .

وتكتب كتب ، وتعقد دراسات ، وتقام ندوات ... بلا جديد ، ويشتغل طلاب الجامعات العربية الإسلامية في اجترار الماضي بلا زيادة .

ولم لا يسأل هؤلاء المستغرقون في الأبحاث القديمة .. لم لا يسألون أو يهتمون بحركة الاستشراق الجارية الآن ، هل هناك استشراق اليوم ؟ ! ما هو ؟ وماذا فيه ؟ ما قديمه وما جديده ؟ ومن هم رواده ؟ وماذا يريدون ؟ ! .

وهذه هي المحاولة أو المغامرة العسيرة على عقول ومعارف كُتّابنا ، بعضهم ليسوا كتاباً ولا باحثين .. إنهم قُراء قديم بلا مواهب ، أفلا يكتفون بأن يكونوا قراءً وكفى ! ، ونعْم العمل ، أمّا أن يقنعونا أنهم عرفوا ما كتب قبل خمسين عاماً أو تزيد، عرفوا الاستشراق ودرسوه ، فهذا لا جديد فيه ، ولا يستحق أن يقنعونا به أو يقولوا لنا إن بعض قومنا قديماً تأثروا بالاستشراق أو لم يتأثروا ويعيدوا علينا الاعتراضات نفسها والسياقات القديمة عينها .

كان الأولى بنا أن ندرس ظاهرة الاستشراق المعاصر ، ونحددها في مستجداتها ، وندرس أعمالها مباشرة ، وأعمالها اليوم بخاصة دون إغراق في قديمها وألا نخشى من التحول إلى دراسة ما جد عندهم كما درسوا هم ما جد عندنا .

الجديد في الاستشراق :

والذي طرأ على تلك المدرسة في العقود الأخيرة تطور مهم ، فإن ما يسمى استشراقاً أو مدرسة استشراقية ذات اهتمام علمي ثقافي في غالبه ، وسياسي

اجتماعي في بعض جوانبه كما عهدناه ، قد انتهت كثير من تلك الجوانب ولم تعد أولوية في الاستشراق الحديث ، بل تحول اليوم إلى عمل سياسي اجتماعي متخصص يهتم بمراقبة ودراسة الأوضاع السياسية والأشخاص والأحزاب والأفكار السياسية والعوامل الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية دراسة وافية ، ووضع حلول لها ! ! .

فقد قرر المستشرقون منذ قرابة عشرين عاماً أنّ العمل العلمي الثقافي في بلاد المسلمين وتراثهم ليس بذي جدوى ولا أهمية ، بل هو ضياعٌ للوقت والجهد ، فليس لدى العرب والمسلمين أفكار ولا كتب ولا آداب تستحق الدراسة والجهد ، والقليل الذي يحتاجون له نقلوه إلى لغاتهم وبخاصة الإنجليزية كتاريخ الطبري ، ومقدمة ابن خلدون ، ورسالة الشافعي وأعمال المتصوفة ! والفلاسفة والشعراء الكبار .. ونحوها، والكتاب المعاصرون العرب ليس لديهم ما يستحق القراءة ، وإذا حدث فسوف يكون عمله مترجماً بلغة غربية في زمن قياسي ، والمؤلف العربي يحرص على ترجمة أعماله إلى لغات غير العربية ، وهذا يسهل عمل من يتابع أفكارنا منهم ، وهم يترجمون ما يحتاجونه حتى بعض الأشرطة السمعية ، فلماذا يضيعون وقتاً طويلاً في دراسة الكتب الإسلامية القديمة مع معاناة مشكلة اللغة العربية ؟ .

لذا : اتجهوا اتجاهاً سياسياً عارماً ، وقطعوا الاهتمام أو أغلبهم بالقضايا العلمية والفكرية إلا بمقدار ما تحقق أثراً سياسياً مباشراً .

واليوم : شخص مثل برنارو لويس اليهودي المؤرخ الشهير الذي كتب عن الشرق الأوسط ، والحشاشين ، والأتراك ، وترجم عن العربية مقتطفات تاريخية وأعمالاً عديدة ذات طابع علمي ، ولّى وجهه منذ زمن نحو السياسة ، وأشرف على معهد الدراسات اليهودية في جامعة (برنستون) ، ثم تفرغ للكتابة السياسية ، ويكتب عن : العرب والإسلام ، واللغة السياسية في الإسلام ، والإسلام والغرب ، وصياغة المشرق الإسلامي الجديد ، ويعمل لإعداد جيل من السياسيين اليهود الأمريكيين ليُخترق العالم العربي بشكل أكبر ، ويقدم محاضرات سياسية واستشارات في الهدف نفسه متخذاً من قضية أمته وقومه اليهود قضيته ، ورمى بالتاريخ إلى الوراء ، ولا قيمة للتاريخ عنده إلا دوره في الحاضر والمستقبل وهذه أهم مهمة للتاريخ حقاً ، وهو من أصحاب النظرية المركزية اليهودية في غرب آسيا ، حيث يرى أن على إسرائيل أن تحكم منطقة وسط وغرب آسيا ، من الجمهوريات الإسلامية إلى النصف الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، وأن على الغرب أن يترك هذه المنطقة لها وحدها ؛ فإسرائيل هي القادرة عقلياً وسياسياً ومالياً وعسكرياً على القيام بذلك في إدارة يسندها تحالف أمريكي مباشر ويربط هذا باستراليا كما شرح في مقال له شهير عن مستقبل المنطقة ، ونشره في مجلة الشؤون الخارجية .

ومثل آخر هو : جون إسبوزيتو ، يتجه لدراسة الإسلام المعاصر والحركات الإسلامية المعاصرة ، ويقيم علاقات مباشرة مع الإسلاميين وجمعياتهم وزعاماتهم ليدرسها عن قرب ، ويقدم الكتب من أمثال التهديد الإسلامي ، أسطورة أو حقيقة ، وبدأت أعداد كبيرة من الشباب تهتم بهذه الموضوعات . ويقدم هؤلاء الاستشارات والتوجيهات للحكومات الغربية كما كان يفعل السابقون في زمانهم .

ولعل أعمالاً سابقة كعمل مالك بن نبي وحديثه عن المستشرقين من معاصريه، أو عملاً كعمل السباعي عن مستشرقي زمانه ومقابلاته لهم : كانت أعمالاً حية مواكبة للحركة في وقتها ، مؤثرة في قرائها آنذاك ولم تزل ، ولكنها لا تصلح لتكون مادة دراسة الحركة في زماننا هذا ولا القادم لأنها أصبحت في معظم مادتها تاريخاً فكرياً لا فكراً معاصراً جارياً .

اليوم يطلب الأساتذة في الجامعات الغربية أن تكون الأبحاث في الجامعات عن

الحركة الإسلامية المعاصرة ! ، عن الأفكار الجديدة والمؤثرة على الشباب في العالم الإسلامي وتطلعاته ، ولعل من اطلع على كتاب انتقام الله الذي ترجم بعنوان يوم الله للكاتب الفرنسي جيل كيبل وكتابه النبي والفرعون يلاحظ مدى المتابعة للوعي الإسلامي في بلادنا ، والكتب التي يقرؤها الشباب المسلم ، والأشرطة التي يستمعونها ، عن الرجال المؤثرين فيهم ، المواقف التي تستفز الشباب المسلم ! ! ، وكيف يمكن أن يواجه ويُغوى عن هدفه ويُشغل بمعارك هامشية جانبية تؤكد غياب الأمة عن دورها وعن قضاياها وتغرق فيما يتمنى لها عدوها ، وللأسف يقع بعض المسلمين عن قناعة أو جهل في شباك الإغواء أو النقاش البيزنطي الذي غدا مثلاً ، ليس لأنه في ذاته خطأ فقط ، وإنما لأنه أيضاً زمنياً خطأ أكبر ، كان ملهاة عن الجيوش الغازية على الأبواب ، كان مشغلة عن المعركة ، ونحن نختار أحياناً إحياء الطريقة البيزنطية نفسها ولكن لا نسميها جدلاً بيزنطياً أو جدلاً لا فائدة منه مع أننا منهيون عنه ، ولأنه هو البديل عن العمل : فقد نضفي على جدلنا هالات من الأهمية والخطورة والمنهجية ، فتكسب نقاشاتنا أهميتها من الألقاب التي نلقيها عليها، وليس من حقيقتها ولا من مكانتها في الدين أو السياسة أو المجتمع أو التاريخ ، وهذه مضيعة للوقت والجهد ، وسبب في صرف اهتماماتنا عن معرفة حال المسلمين الذين هم بأشد الحاجة إلى الالتفات لمصائبهم ولأعدائهم المحدقين بهم ، ولتصحيح أفهامهم وأفكارهم وعقائدهم ، فهم لا يدرسون حياة الشعوب المجاورة لهم ، ودورها في حياتهم ، ولا يدرسون الإسلام بالطريقة التي بعثت الحياة في قلوب السابقين من الأمة ، إذ كان الإسلام لأتباعه : طريق عزة وكرامة للفرد وللأمة ، واستقلالاً عن ضغط الأعداء ، وعدالة في الداخل ، ووحدة في التوجه ، وتكاملاً في التخصصات ، وحيوية غامرة ، وتطلعاً لمعالي الأمور وذروة سنامها .

التفكير عند سلف الأمة ليس إغراقاً في تاريخ كسرى وقيصر ولا في جاهلية العرب وأقوالهم ، وليس تمحكاً وتحكيكاً وافتعالاً للخلاف الداخلي بين المسلمين أشخاصاً وأفكاراً ، وكتب الملل والنِحَل لم تكن همّ المسلمين وهدفهم ، بل كان عملهم دعوة الناس وهدايتهم ، عملهم هداية من ترون من أعماق الصين إلى نهاية الغرب ، وليس لكلام زال وزال تأثيره ماضياً كان أو معاصراً ، بل معرفة بالدين ، ثم معرفة بالحال الحالّة بأنفسهم وعدوهم وكيف يواجهونها ، وبذل الطاقة والجهد لهذا ، لا لعلاج مشكلة ماضية ، ولا لتوهم أو افتراض مشكلة في داخل الأمة .. ثم البحث عن حل مفترض كذلك . هذه السلبية في الهروب من مواجهة الحياة والعدو طريق العاجزين ومنحى الجاهلين ، لأن كل شيء منها سهل ممكن النقاش مدروس سابقاً ، أو هو طعن للأمة من الخلف لا يكلف سوى استثارة وإيهام بشبهة أو ترويع مروع ، فيجن خوفاً وهلعاً ويضحي بأهل داره خوفاً من عدو متخيل من الداخل ، وإذا كان قد ولى أولئك أو تركوا ما كان يسمى استشراقاً في عمومه واختصوا بعمل محدد عمل سياسي مجرد ، فإن مواقعهم الآن احتلها مجموعة من العرب الذين نشؤوا عرباً في بلاد عربية بغض النظر عن أصلهم ، ولكونهم غرباء في المجتمع العربي ، لن يجدوا موقعاً سياسياً يتناسب مع معرفتهم بالعرب ، فقد قاموا بالعمل التشويهي نفسه، بل أسوأ بكثير مما كان يعمله المستشرقون ؛ فها قد رأينا مستشرقين أمثال عزيز العظمة و أركون ، وهؤلاء المستشرقون العرب توفرت لهم إمكانات لم تتوفر للطبقة الاستشراقية الغربية المعاصرة ؛ فمهارتهم في العربية التي كانت تقف عائقاً لكثير من الغربيين لم تعد اليوم عند هؤلاء مشكلة ، ثم : أزمة عقدتهم الفكرية والسياسية حيث لا يجدون من يحترم كتاباتهم في العالم الغربي تزيد من حقدهم على الإسلام والمسلمين والسخط على الأمة وتشويه تاريخها واحتقار تفكيرها وقراءته بعين غربية حاقدة ، وثم : عقدة كونهم مستغربين على هامش الغرب يزيدهم محاولة

إثبات أنهم غربيون أكثر من الغرب ، فتجعلهم عقدة النقص هذه أشد ضرراً على المسلمين من المستشرقين الغربيين .

والأولى بنا أن نعلم أن الاستشراق ليس تاريخاً ماضياً ، ولكنه أيضاً سياسة قائمة يومية متجددة .. نجد أنفسنا وثقافتنا فيها من خلال لغاتها مباشرة ، وأعمالها ومؤتمراتها وأبحاثها وقرارات الحكومات المبنية عليها .

ونحن لو اتجهنا نحو هذه المدرسة بهذه القناعة ، أو على الأقل واجهناها بهدف معرفتها ومتابعتها عن قرب متابعة مؤلفاتها ومقالاتها ودراساتها وتقاريرها ، لوجدنا في الحاضر ما يغني عن كثير مما قيل في الماضي ، ولساعدنا ذلك على فهم العالم الذي نعيش فيه ، ولساهمت هذه الدراسة الواعية والمراقَبة الجادة في تطوير العقول والعلوم والأفهام وإنضاج مجتمعنا سياسياً ، وإنضاج أساتذة الجامعات لدينا والشباب المسلم ليخرج واعياً لعصره ، فاهماً لصديقه وعدوه ، يعرف كيف يتعامل مع مفكري عصره وعالَمهم ، لأن تدريس الاستشراق بالطريقة الفكرية التاريخية الموجودة الآن قد تساهم في عمل تغفيلي غير مقصود ، ولكنه يساعد في عملية تركيز الجهل بالحاضر والإغراق في الماضي ، وإقرار الخروج عن مسار العمل والفكر المعاصر ، والعودة إلى عهد المِلَل والفرق الهالكة ، يجعله يناقشهم وكأنهم فرقة إسلامية انتهت منذ العصر العباسي ، ولا يتعامل معهم كبشر وفكر يعمل ويعيش معه في نفس الزمن ، يناقشه ويكيد له ويحاربه ويصالحه ويخادعه في نفس الوقت .

لا بأس من دراسة تمهيدية للاستشراق مثل دراسة محمود حمدي زقزوق الجيدة ، أو دراسة قاسم السامرائي تكون البداية منها ، ثم بعد ذلك تكون المتابعة لما يحدث الآن .

طريقة المواجهة :

وهل يمكن أن تقوم محاولة جادة لاختراق وعي الحاضر الغربي والصورة الموجودة للإسلام والمجتمعات الإسلامية هناك ؟ ، وهل يمكن أن تعطي أعمالنا وكتبنا تصوراً عنا نحدده نحن ولا يُحَدد لنا وحسب ما نريد ؟ ، على فهمنا : فليسوا كلهم حاقدين ، وليسوا كلهم صليبيين مغرضين ، بل منهم من يريد الحقيقة كما أن منهم من أسلم في الماضي ، ولكن .. هل نملك القدرة أيضاً على صرف النظر عن التفكير من خلال التهم والدفاع عن ذاتنا ! بطرق مباشرة أو غير مباشرة ؟ .

وإذا كان المقصود الهداية هداية مجتمعاتهم فهل بإمكاننا غزو المكتبة الغربية بكتب جديدة مترجمة أو مؤلفة يقرؤها هؤلاء المستشرقون ويقرؤها المجتمع الغربي عموماً ؟ ، وسوف تعين هذه الكتب بالدرجة الأولى هذه الجماهير المسلمة التي تعيش وتفكر من خلال مكتبة غربية حاقدة ومضادة ، ونحن نملك بعض ! المعرفة الجيدة في الإسلام ، فلم لا نحولها إلى عمل جاد في اللغات الأخرى ، يحيي صورة الإسلام الحقيقي ، وينشر الوعي به ، ويقلل من تيار الهجوم العنيف ضده وضد أهله ؟ ونتخلص من عقدة ماذا قالوا عنا قبل قرن أو قرنين ؟ ! ولنجعلهم يسمعوا لنا الآن ، ثم : ألا نقوم بدراسة جادة للفكر الغربي مباشرة بلا وسائط ونجعله مادة دراسة ؟ ، لم لا نفكر في قلب الموضوع وتغيير الاتجاه ؟ ، لماذا نحن خائفون فزعون من دراسة ما عندهم وبخاصة النخبة منا ؟ ، لم لا نتحدث عما لديهم عن خرافات وأكاذيب .. وإيجابيات قد تكون مفيدة ؟ وبخاصة أن الإغراق في الاستشراق لا يقدم فائدة ، فهؤلاء المستشرقون غالباً نكرات في بلادهم وفي ثقافتهم ، ميزتهم كتابة تقارير عنا .. وماذا تصنع تجاه كاتب التقارير ؟ ! ، هل تصرف جهدك لكتابة تقرير عنه ، أم تنصرف لعملك وهمك ؟ وإذا فهمت ماذا كتب عنك ، فهذا كل الذي تريد حتى تعرف

ما هو موقع قدمك في عمل دائم جاد ومؤثر ومهم . فمعرفة الاستشراق أداة وليست غاية .

إن علماء الإسلام عبر القرون درسوا التوراة والإنجيل وعقائد الفرق الأخرى، وحاجّوا علماءهم ، بل أسلم بعضهم بعد نقاشات ودراسات ومجادلات أدت بأن يؤلف بعضهم الذين أسلموا كتباً في نقد ديانة قومهم ، لماذا ألجأنا الخوف والضعف الفكري إلى الانكماش وضرب أسوار الحديد حتى على القادرين ! !

دراسة الاستشراق بالطريقة الموجودة طريقة عقيمة لا فائدة منها ، فنحن في حاجة إلى متابعة جادة للجديد ومواجهته بموقف من جنسه ، وهذه الدراسة غير مسموح بها في أكثر مناطق العالم الإسلامي ، فأين الدولة التي تسمح لجامعاتها بدراسة السياسة والمجتمع الغربي ، ثم بناء سياسة ذلك البلد الإسلامي مع الآخر بناءً على معرفة علمية وسياسية صادرة عن جامعة عربية أو مركز للدراسات المستقبلية ؟ ! ، وما دام هذا الأسلوب العلمي غير مسموح به في بلاد العالم الإسلامي فقد يكون الحل هو دراسة فكر الغرب ودياناته ونقدها بلغتنا ، وهذا هو الرد العملي الموازي للاستشراق ؛ إن كتاب الدكتور حسن حنفي عن الاستغراب والذي هدف إلى نقل المواجهة إلى ساحتهم قد يكون مثالاً لجانب من جوانب المعرفة بالفلسفة الغربية ، ولكنه لم يَخْلُ من شطحات فلسفية وتلمذة لمدارسهم ، وليس عندنا إلى الآن أعمال نقدية للفكر الغربي مشابهة لما يخرج عندهم ينقد أفكارهم ، أما ضياع الجهد في اتهام المستشرقين وتلاميذهم وإثبات انحرافهم وخداعهم فحسب فلا فائدة منه ، إن علينا أن نتخلص من عقدة الخوف من فكرهم ومن ثقافتهم ، وأن نواجه ثقافتهم بتنمية ثقافة جادة لنا ، وناقدة لخصومنا ، وننقل ميدان النقاش إلى هناك ، ونتخلى عن عقدة النقص حين نضع دائماً ديننا وأمتنا مادة للنقاش والاتهامات ، ولا يعني هذا أن نكتب هجاءً سطحياً لهم كما فعل كثير من المستشرقين تجاهنا ، بل ليكن عملنا علمياً ، مفيداً لنا ولهم ، ومنقذاً لهم من الضلال .. ، وكل هذا لا يعني عدم معرفة الاستشراق ، بل نريد المعرفة التي تسوق وتدفع إلى مواجهة ثقافة بثقافة وعلم بعلم .

منتدى القراء

إلى الكاتب الأمل

عبد الله بن يوسف اللاحم

إن منهج الإسلام يمتاز بالوضوح والبيان ، بعيداً عن الغموض والتعقيد ، سواء أكان ذلك في عقيدته أو في تشريعاته أو في منهجه في الدعوة إلى الله (تعالى) المتمثل في منهج القرآن الكريم والسنة النبوية ، الذي هو منهج واضح قريب الفهم لكل أحد ...

إن من واجب الداعية والكاتب الموضوعي أن ينطلق في منهج الكتابة من ركيزتين :

أولهما : الاختصار البليغ .

وثانيهما : الجلاء والوضوح .

فبالاختصار تحفظ الفكرة وتحصل الرغبة ، وبالبلاغة تسمو المعاني لتتوافق مع اختلاف المدارك والأفهام ، وبالوضوح تتم الفائدة لكل قارئ .

ومن هذين المصدرين الكتاب والسنة استفادت الأمة بعامة علماً بالله ، وإيماناً به ، وازداد العلماء حكمةً وفقهاً في دين الله ، ولذلك : فالرسول -صلى الله عليه وسلم- يوجه أهل الدعوة إلى ذلك المنهج بقوله : إن طول صلاة الرجل وقصر

خطبته مئنة فقهه [1] .
إننا نرى بعض إخواننا الكتاب والمتابعين في الصحف الإسلامية يدخلون في دوامة الإطالة والغموض الذي لا يخدم الدعوة الإسلامية ولا يزيد القراء وعياً بواقعهم المعاصر ، وذلك لعدة أسباب :
1- إن هذه المقالات والتحقيقات قد تطول جداً مع دقة الكتابة ، فتحتاج إلى وقت وجهد لا يمكن توفره لكل قارئ ، مما يدعوه إلى الإحجام عن قراءتها .
2- ما قد يوجد في تلك الكتابات من : غموض ، ومصطلحات ، وتطويل للفكرة ، مما لا يساعد كثيراً من القراء على الاستفادة الكاملة .
3- ليس المقصود من الكتابة أن يبرز الكاتب علمه وثقافته ، وليس هو في سباق فيصول ويجول في بحار التطويل والغموض والفلسفة ، بقدر ما يكون المقصود إيصال الفكرة من أقرب طريق لمن يحتاجها من عامة طلبة العلم .

(1) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، ج2 ص594 .

الورقة الأخيرة

هيئة الأمم المتحدة بين التنظير والتطبيق

أحمد العويمر

أسست هيئة الأمم المتحدة على أنقاض (عصبة الأمم) لحفظ السلم العالمي ، وحل مشكلات الشعوب والأخذ بيدها إلى ما فيه صلاحها ونموها واستقرارها ، وإن نجحت هذه الهيئة في حل بعض المشكلات ، إلا أنها فشلت فشلاً ذريعاً في حل قضايا العالم العربي والإسلامي وعلى رأسها قضية فلسطين ، بل ساهمت في إقرار قيام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين المغتصبة .
أما ما يحدث في (البوسنة والهرسك) من عار يندى له جبين كل إنسان : إنما هو سبة على المتنفذين في الهيئة من القمة إلى القاعدة ، فهذه المنظمة قد فشلت فشلاً ذريعاً في أداء الرسالة المنوطة بها ، كما أنها تهاونت حيال قضايا أمتنا بشكل يكاد يكون مقصوداً ، ولقد خالف أمينها العام مسلماته الفكرية التي كان يدعو إليها ، كما في كتابه (الحكومة العالمية) ، بل قد تنازل عن مرئياته السياسية المعروفة مثل : رأيه السابق في إلزامية القرار (242) الذي تراجع عنه تراجعاً عكسياً تماماً ، بل زاد الطين بلة أن صار أكثر همه عقد المؤتمرات العالمية التي تزيد تكاليفها عن الآثار المتوقعة لها ، حتى وكأنه يريد أن يضرب الرقم القياسي في عقد مثل تلك المؤتمرات في عهده ؛ إذ عقد مؤتمر (ريودي جانيرو) عام 1992م ، ومؤتمر حقوق الإنسان عام 1993م ، ومؤتمر السكان عام 1994م ، ومؤتمر (كوبن هاجن) الأخير هذا العام .
ولقد تحدث الكاتب بيتر مانسفيلد ساخراً من تبديد الأموال في هذه المؤتمرات بدون جدوى ، ومن الطريف أن رئيس (ملاوي) قال : إن كلفة حضوره إلى مؤتمر هيئة الأمم الأخير تبلغ 125 الف جنيه استرليني ، وأن إنفاقها في حاجيات بلاده أولى ، وما قيل في المؤتمر من دفع الغرب 4 . 1 تريليون دولار لمساعدة الدول الفقيرة ، إنما سحبته الدول الغنية من جانب آخر عن طريق القيود التجارية وبمهازل اضطراب العملات وتسديد الديون المستحقة لهم .
هذه المؤتمرات وما أحدثته وتحدثه من ردود أفعال متباينة لم تعد على العالم سوى بالكلام وضياع الجهود والأوقات ليس إلا ، وتقرير أمور بدهية هي تحصيل حاصل . وهذا هو المتوقع مادام أن العقلية (الاستعمارية) و (العنصرية) تجعل حق

النقض مكفولاً لأعضاء مجلس الأمن الدائمين ضد أي قرار لا يوافق هواهم ، الأمر الذي يجعل الحقوق تحت رحمتهم ، وبإمكانهم إجهاض أي مشروع مهما كان بإشارة يد فقط ، وتمخض الجبل فولد فأراً حيث لم يقبل الكبار إسقاط ديون العالم الثالث ، واختتم المؤتمر بقرارات غير إلزامية ! ! .

إن على أمتنا الإسلامية الوقوف جبهة واحدة ، وأن يكون لها دور بحكم مكانتها وعددها وأهميتها ، حتى تُحترم قضاياها ، وإلا كانت كمّاً مهملاً كما يراد لها.

فهل نفعل .. عسى ولعل .

تمت بعون الله والحمد لله